التأصيل النظري للدراسات الحضارية

(٦)

حوار الثقافات

إدارة الأجندات والسيناريوهات المتنازعة

تأليف

أ. د. حسن وجيه



تحرير

أ. د. منى أبو الفضل   أ. د. نادية محمود مصطفى



الباحثون في هذه السلسلة

منى أبو الفضل
أميمة عبود
سليمان الخطيب
رقية العلواني
كريستيان فان نيسبن
سمير مرقس
إكرام لمعي

السيد عمر
فوزي خليل
فؤاد السعيد
عبد الخبير عطا محروس
أماني صالح
حسن وجيه
سيف الدين عبد الفتاح

المحرران

أ. د. منى أبو الفضل **أ. د. نادية محمود مصطفى**

THE DIALOGUE OF CULTURES

Administrating the Agendas & The Disputing Scenarios

Ḥiwār al-Thaqāfāt

Idārat al-Ajindāt wa-al-Sīnāryūhāt al-Mutanāzi'ah

Prof. Dr. Ḥasan Wajīh

- ما تقنيات الحوار التفاوضي؟ وما مفاهيمها الأساسية؟ كيف يمكن أن ننأى بحوار الثقافات والأديان بعيداً عن أوجه الخلل القائمة؟ ماذا يعني إيجاد أرضية مشتركة للحوار؟
- هل يمكن تشكيل مثل هذه الأرضية للانطلاق إلى آفاق واسعة من التعاون والبناء المثمر؟ ما الخريطة الذهنية لخطابات حواري الثقافات والأديان؟ وكيف يتم بناء مفاهيم الحوار وعملياته وتفاوضاته؟ وكيف نكشف تلفيقات الحوار بشكل مباشر وغير مباشر؟
- لماذا يرفض بعض الناس الحوار؟ وما الحجج التي يسوقونها لتسويغ ذلك؟
- أفكار قيمة وتقنيات جديدة في فن الحوار التفاوضي يقدمها هذا الكتاب.

Design Behzad Ali Issa

ISBN 978-9933-10-008-7
9 789933 100087

سلسلة التأصيل النظري للدراسات الحضارية

١- الحوار مع الغرب: آلياته - أهدافه - دوافعه

أ. د. منى أبو الفضل د. أميمة عبود أ. د. سليمان الخطيب

٢- مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية

د. رقية العلواني الأب د. كريستيان فان نسبن أ. سمير مرقس القس. د. إكرام لمعي

٣- الأنا والآخر من منظور قرآني

د. السيد عمر

٤- الثقافة والحضارة: مقاربة بين الفكرين الغربي والإسلامي

أ. فؤاد السعيد د. فوزي خليل

٥- العلاقات الدولية: البعد الديني والحضاري

د. عبد الخبير عطا محروس د. أماني صالح

٦- حوار الثقافات: إدارة الأجندات والسيناريوهات المتنازعة

د. حسن وجيه

٧- العولمة والإسلام: رؤيتان للعالم

د. سيف الدين عبد الفتاح



التأصيل النظري للدراسات الحضارية

٦

حوار الثقافات

(إدارة الأجندات والسيناريوهات المتنازعة)

حوار الثقافات: إدارة الأجندات والسيناريوهات المتنازعة/
حسن وجيه؛ تحرير مِنى أبو الفضل ونادية محمود مصطفى
.- دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٨ .- ١٥٢ ص؛ ٢٥ سم.
(التأصيل النظري للدراسات الحضارية؛ ٦).
١- ٣٠٣,٤ و ج ي ح ٢- العنوان ٣- وجيه
٤- أبو الفضل ٥- مصطفى ٦- السلسلة
مكتبة الأسد

التأصيل النظري للدراسات الحضارية

٦

حوار الثقافات

(إدارة الأجندات والسيناريوهات المتنازعة)

أ. د. حسن وجيه

تحرير

أ. د. منى أبو الفضل   أ.د. نادية محمود مصطفى



آفاق معرفة متجددة



٢٠٠٨
دمشق
حاضنة اللغة العربية
دار الفكر - دمشق - برامكة
٠٠٩٦٣ ٩٤٧ ٩٧ ٣٠٠١
٠٠٩٦٣ ١١ ٣٠٠١
http://www.fikr.com/
e-mail:fikr@fikr.net

التأصيل النظري للدراسات الحضارية

- ٦ -

حوار الثقافات

(إدارة الأجندات والسيناريوهات المتنازعة)

أ. د. حســـن وجيـــه

الرقم الاصطلاحي: ٢١٥٨,٠١١

الرقم الدولي: ISBN: 978-9933-10-008-7

التصنيف الموضوعي: ٣٠٣ (العمليات الاجتماعية)

١٥٢ ص، ١٧ × ٢٥ سم

الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

المحتوى

إدارة الأجندات والسيناريوهات المتنازعة
في
حوار الثقافات

✍ أ. د. حسن وجيه

مقدمة تحرير المشروع

د. نادية محمود مصطفى

تأسس برنامج حوار الحضارات بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية في نيسان / أبريل ٢٠٠٢، استناداً إلى خطة علمية حددت دوافع هذا التأسيس وأهداف البرنامج على النحو التالي:

١- دراسة الإطار النظري لموضوع البرنامج (العلاقة بين الحضارات) لتسكينه في موقعه من المنظورات الراهنة لدراسة العلوم السياسية بفروعها المختلفة، وفي تقاطعها وارتباطها مع علوم اجتماعية أخرى. فإن تجدد الاهتمام بالأبعاد الثقافية / الحضارية، ومن ثم الأبعاد القيمية بمصادرها المختلفة (وفي قلبها الدين) يعد من أهم سمات المنظورات الغربية الراهنة، مما أوجد مساحة مشتركة مع منظورات حضارية أخرى وعلى رأسها الإسلامي.

٢- رصد وتحليل المدارس النظرية والاتجاهات الفكرية المتنوعة (القومية والليبرالية والإسلامية) في الموضوع، وتقديم ملخص جامع مقارن لأسانيد كل من هذه المدارس والاتجاهات من حيث تأصيل مفهوم الحضارة والحوار والصراع، ومن حيث تأصيلها لأصل العلاقة بين الحضارات، ومن حيث رفضها أو قبولها لفكرة حوار الحضارات، ومن حيث البدائل المطروحة لهذه الفكرة.

٣- رصد المبادرات العملية المطروحة في ساحة حوار الحضارات أو الثقافات أو الأديان - خلال العقد الماضي - وتقويم آليات تطبيق الفكرة بصفة عامة أو في مجالاتٍ نوعية وقضايا محددة؛ سواء على مستوى المنظمات الدولية أو الحكومات أو المنظمات غير الرسمية، الدولية منها والوطنية. حيث إن ملتقيات الحوار ذات مستويات متعددة، منها الرسمي ومنها غير الرسمي، ومنها العالمي ومنها ذو النطاق المحدود إقليمياً أو وفقاً للقضايا محل الاهتمام.

٤- تصميم سيناريوهات للدخول في (حوار) من جانب الدائرة المصرية أو العربية أو الإسلامية مع دوائر ثقافية أخرى، سواء إسلامية أيضاً أو تنتمي إلى حضارات أخرى غربية أو شرقية على حد سواء. ويتطلب تصميم السيناريو الواحد - وبالنظر إلى طبيعة أطرافه - تحديد قائمة وأولويات موضوعات الحوار وقضاياه انطلاقاً من متطلبات وحاجات الدائرة المعنية؛ أي العربية أو الإسلامية، في حوارها مع الدوائر الحضارية الأخرى (الأوربية، الأمريكية، الروسية، اليابانية، الصينية، الهندية..).

٥- الاهتمام بالبحث في آليات وسبل تحقيق التنسيق والتعاون بين المنظمات العربية والإسلامية التي تدير مشروعات للحوار مع (الآخر)، وعلى رأسها الجامعة العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي، من ناحية، وكذلك بين الدول الإسلامية الكبرى (وعلى رأسها مصر، تركية، إيران) التي تدير من خلال برامج وطنية حوارات مع (الآخر) أو فيما بينها (مثلاً الحوار العربي الإيراني، والحوار التركي العربي).

واستجابة لهذه الدوافع والأهداف، وفي ضوء متطلبات البيئة العلمية والعالمية المحيطة، التي جسدت تجدد الاهتمام بالأبعاد الدينية والثقافية والحضارية، وفي قلبها الأبعاد القيمية غير المادية للتطور البشري وللتغيرات العالمية، كان لابد لهذا البرنامج أن يؤسس أنشطة خطته الخمسية العلمية على (تأصيل نظري للعلاقة بين الدين، الثقافة، الحضارة) ليس كغاية في حد ذاته فقط، ولكن كسبيل أيضاً لتأسيس مجال للدراسات الحضارية في العلوم السياسية ينطلق من البحث في آفاق منظور حضاري، وعنه، لدراسة الظاهرة السياسية في أبعادها الداخلية والخارجية على حد سواء. كل هذا دون انقطاع أو فقدان صلة بموضوع هذا البرنامج ومحور نشاطه ألا وهو العلاقة بين الحضارات حواراً وصراعاً.

ومن ثم كان مشروع (التأصيل النظري) هو باكورة المشروعات البحثية الجماعية الممتدة التي قام عليها برنامج حوار الحضارات. ولقد استغرق تنفيذه نحو عامين ونصف العام (شباط / فبراير ٢٠٠٣ - آب / أغسطس ٢٠٠٥). ولقد حفزت المبادرة أ. د. منى أبو الفضل الرائدة في مجال الدراسات الحضارية على صعيد العلوم السياسية، والمؤسسة لمدرسة المنظور الحضاري في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة. ولقد أشرفت د. منى على إعداد ورقة عمل المشروع التي دشنت اجتماعات العمل المتطورة، كما رأست معظم هذه الاجتماعات وأدارتها بالتعاون مع أ. د. نادية مصطفى، ولقد حالت ظروف خاصة دون مشاركتها في إعداد هذا التقديم لنشر أعمال المشروع.

ولقد شارك في أعمال هذا المشروع إلى جانب الأساتذة معدي البحوث، عدد آخر من الأساتذة أثروا النقاش في الاجتماعات الدورية، وكان لهم فضل المساهمة في بلورة غايات المشروع ومخرجاته، وهم: أ.د. علا أبو زيد، نائب مدير البرنامج حينئذ، أ.د. السيد عبد المطلب غانم، أستاذ النظرية السياسية، أ.د. مصطفى منجود، أستاذ الفكر

السياسي، أ.د. عبد الغفار رشاد أستاذ النظم المقارنة. كما ساهم في بحوث المشروع - عن بعد - كل من: د. رقية العلواني، و أ.د. سيف الدين عبد الفتاح، و أ.د. حسن وجيه، كذلك ساهم في الاجتماعات وأعمال البحث المساعدة عدد من الشباب الباحثين المهتمين بالمداخل الثقافية والحضارية للعلوم السياسية، وهم: مدحت ماهر، وأماني غانم، ومروة عيسى، وأحمد خطاب، وعلاء عبد الحفيظ.

مجمل القول: كان المشروع البحثي الجماعي الممتدُّ خبرةً حية تفاعلية تبادلية، فنظراً لعدد المشاركين فيه، وامتداده الزمني، فلقد كان ساحة تفاعل وتبادل للأفكار والآراء، ومعملاً لاختبار بعض المقولات والافتراضات، أو إنضاج بعضها الآخر.

ولقد فرض موضوع المشروع - وجدَّته - هذا النمط من التفاعل، كما ساعدت حماسة الأساتذة المشاركين على جعل هذا التفاعل خبرة متميزة على صعيد الجماعة العلمية للعلوم السياسية في مصر، وفي انفتاحها على علوم أخرى مثل الدراسات الإسلامية والفلسفة والاجتماع والتاريخ وفلسفة الحضارات.

هذا ولقد تعددت مستويات التفاعل التبادلي عبر مراحل تطور المشروع، كما تنوعت - بالطبع - قضاياه وإشكالياته، وعلى نحو أسفر عن بنية محددة لبحوثه. فلقد مرَّ المشروع بخمس مراحل أساسية:

مرحلة التدشين (شباط / فبراير ٢٠٠٣ - حزيران / يونيو ٢٠٠٣)
وبدأت بإعداد ورقة عمل تمهيدية أعدتها أ.د. نادية مصطفى في ضوء جلسة عمل ابتدائية شاركت فيها أ.د. منى أبو الفضل، و د. أماني صالح، و أ.د. علا أبو زيد. وحددت هذه الورقة منطلقات المشروع، وملامح منهج العملية البحثية، ومحاور التأصيل، وموضوعات كل منها، وطبيعة المنتج النهائي.

وكان المنطلق الذي حددته ورقة العمل هو:

ضرورة الوعي بأن البحث في الدراسات الحضارية ليس غاية في حد ذاته في نطاق هذا المشروع البحثي، ولكن لابد من تسكين هذا الموضوع في إطار العلوم السياسية، مع الاستعانة بتخصصات أخرى، وعلى النحو الذي يسمح - من ناحية أخرى - بالربط بموضوع البرنامج الأساسي ألا وهو حوار الحضارات وصراعاتها. فالدراسات الحضارية المقارنة تتضمن أبعاداً متنوعة؛ أحدها أنماط العلاقة التفاعلية بين المنتمين لتلك الحضارات عبر التاريخ، والعوامل المؤثرة فيها. ولكن يظل المحك في نظرنا، كجماعة بحثية في العلوم السياسية، هو: كيف يمكن توظيف هذه الدراسات في تأصيل مجال للدراسات الحضارية في نطاق العلوم السياسية؟ وكذلك: كيف يمكن تطوير منظور دراسات حضارية لعلم السياسة ينطلق من الأبعاد الحضارية الثقافية كما تنطلق منظورات أخرى من أبعاد مادية عسكرية أو اقتصادية... إلخ؟

بعبارة أخرى؛ كان المحك في نظرنا هو الإجابة عن السؤال التالي: ما الذي يميز تناولنا لموضوع العلاقة بين الحضارات عن غيرنا من التخصصات؟ هل يتم ترك هذا المجال الدراسي، الدراسات الحضارية، لعلم التاريخ أو الاجتماع أو الفلسفة، أم يجب أن يصبح لعلم السياسة دور في هذا المجال؟ وكيف يمكن لهذا الدور أن يربط بين هذه التخصصات المعنية؟ ولماذا تبرز أهمية هذا الدور الآن في ظل طبيعة المرحلة الراهنة من المراجعة في حالة علم السياسة؟

ومن ثم تحدد هدف المشروع البحثي بأنه بيان كيف تكون الدراسات الحضارية مجالاً جديداً في الدراسات السياسية. وكان هذا يستلزم تصورات من متخصصي فروع العلوم السياسية الكبرى عن موضع البعد الحضاري والدراسات الحضارية من رؤى ومنظورات ونظريات هذا الفرع في المرحلة الراهنة من تطور حالة العلم، وهي المرحلة التي تشهد الجدل

حول دوافع ومبررات وأشكال الاهتمام بالبعد الحضاري الثقافي وأثره في التفاعلات السياسية؛ الداخلية منها والعالمية، وإذا ما كان هذا البعد عاملاً من العوامل المفسرة أم مجرد أداة من أدوات إدارة السياسات.

ومما لا شك فيه أن اتجاهات هذا الجدل تتشكل باختلاف الأنساق المعرفية والمنظورات. فمن رافض للعامل الحضاري ودوره؛ نظراً لانتمائه إلى مجالات معرفية أخرى غير العلوم السياسية، إلى من يرى أن منظوراً حضارياً لعلم السياسة يساعد على معالجة أكثر من أمر: مثلاً تفتت علم السياسة على نحو بدأ يشكك في وجود ما يسمى علم السياسة، في الوقت نفسه الذي انفصل فيه علم السياسة عن التاريخ والاجتماع والفلسفة.. ومن ثم فإن التأصيل للمنظور الحضاري يحقق ما يلي: إنهاء الفصل بين التاريخ والاجتماع والسياسة، والتأصيل للأنساق المعرفية المتقابلة وموقفها من صناعة العمران، حيث إن مجال الدراسات الحضارية تتقاسمه أنساق معرفية متقابلة (إسلامية ووضعية) ومداخل مختلفة (فلسفية، تاريخية).

خلاصة القول: إن المشروع وفق هذا المنطلق كان يتطلب محوراً تمهيدياً يقدم تأصيل مجال الدراسات الحضارية في فروع العلوم السياسية سعياً نحو منظور حضاري لدراسة علم السياسة.

وبعد عملية تسكين البعد الحضاري في مجال فروع العلوم السياسية، كان لابد أن تبدأ عملية التأصيل النظري. وعن منهج هذه العملية ومحاور التأصيل: فهي تنطلق من قراءة نقدية تراكمية في الأدبيات المتعلقة بالعلاقة بين الحضارات أو مجال الدراسات الحضارية من منظورات متقابلة في نطاق علم الفلسفة، التاريخ، الفكر، أو الأدبيات التي قدمت دراسة في النماذج الفكرية. وعن المحاور التي تتم في ضوئها هذه القراءة المقارنة التراكمية فهي تنقسم بين مجموعات ثلاث: المفاهيم، العلاقات والعمليات، الفواعل، وكانت كالآتي:

المجموعة الأولى وتتضمن الموضوعات التالية:

أثر الدين في الثقافة والحضارة، الفارق بين الثقافة والحضارة: أهمية الرمز الحضاري، النماذج الحضارية: قواعد التشكيل، الخصائص، الأسس.

المجموعة الثانية، من موضوعاتها ما يلي:

أنماط العلاقة بين الحضارات والثقافات (الحوار، الصراع، الصدام، التعارف، التثاقف، التسرب، النفاذية Culture filter)، مفهوم الحوار: الدوافع، الأهداف، الشروط، الآليات، الأنماط، مفهوم الصراع: الدوافع، الأهداف، الشروط، الآليات، الأنماط.

المجموعة الثالثة تطرح الموضوعات التالية:

العلاقة بين الأنا والآخر: النظريات والرؤى من أنساق معرفية متقابلة ومنظورات متقابلة (التعددية، الهيمنة)، الآخر في فكر وحركات الإصلاح في الأديان السماوية الثلاثة.

ولقد أثار مضمون بعض المحاور نقاشاً طرح بعض الإشكاليات الهامة، ومن أبرز هذه المحاور: محور العلاقة بين الأنا والآخر، فلقد طرح الأسئلة التالية:

- هل الآخر هو المختلف في الدين، أم يمكن أن يكون مشابهاً في الدين؟ هل الآخر هو المخالف في المنظور للدين كمنهج علوي أو منهج دنيوي وصناعة بشرية؟ هل الآخر هو الحضارة الغربية، والأنا هو الحضارة الإسلامية؟ ما مستوى هذا الآخر وهذه الأنا: الفرد / الجماعة (الأمة)، الاجتماعي / الديني، المعرفي / الإنساني، الكوني / المقدس؟
- ما نمط العلاقة بين الأنا والآخر: التعددي / المهيمن، الاستيعابي / الإقصائي، التراكمي / الاستعلائي؟

وأخيراً هل يجب الأخذ بهذه الثنائية (الأنا والآخر) بالرغم من أنها ثنائية استبعادية انطلقت وتأسست من فكرة هيمنة الذات الغربية على الأنا المختلف؟ أم أن هذه الثنائية القائمة الذائعة ذات الجذور القديمة تقتضي وتستلزم قراءة نقدية في ضوء دلالة الأنساق المعرفية المتقابلة مع استدعاء النماذج التاريخية التي توضح العلاقة بينهما في ظل مراحل أو عصور كل من الهيمنة الإسلامية والهيمنة الغربية؟..

وعبر أربعة أشهر استغرقتها هذه المرحلة التدشينية، توالت الاجتماعات التحضيرية (ثمانية اجتماعات) جرت خلالها مناقشة عدد من القضايا والإشكاليات المعرفية والمنهجية والنظرية، كان من أهمها ما يلي:

- أسباب الاهتمام الراهن بالمجال الحضاري في العلوم السياسية في ضوء التغيرات الرئيسية العالمية، والظواهر الجديدة التي لم تعد الإطارات الفكرية (الحداثية الوضعية) قادرة على تقديم تفسيرات كاملة لها، مما فرض تجدد الاهتمام بأساليب جديدة تعيد للجوانب القيمية غير المادية أهميتها.
- العلاقة بين الدين وبين الثقافة والحضارة.
- الفارق بين مجال الدراسات الحضارية وبين المنظور الحضاري.
- أسباب الحوار أو الصراع بين الثقافات والحضارات، ومسؤولية الأنساق المعرفية المتقابلة من ناحية، والاختلاف حول موضع العقل من العلم وموضع القيم من العقل والعلم من ناحية أخرى. وكذلك مسؤولية حالة توازن القوى بين هذه الثقافات والحضارات، ومدى تسييس العوامل الدينية - الثقافية الحضارية وأنماط توظيفها السياسي.
- موضع المشروع البحثي من خطة عمل برنامج حوار الحضارات خلال الأعوام التالية.

ولقد كانت النقاشات عبر هذه الاجتماعات التحضيرية الثمانية من الكثافة والعمق والتعدد والتنوع ما تعجز هذه السطور عن ترجمتها. ولقد أفضت إلى الاتفاق على بنية المشروع البحثي.

وتنقسم أعمال المشروع إلى سبعة محاور:

- المحور الأول بعنوان: الحوار (منطلقاته المعرفية، آلياته، أهدافه، دوافعه)، ويضم ثلاثة بحوث هي؛ (النظرية الاجتماعية المعاصرة: نحو طرح توحيدي في أصول التنظير ودواعي البديل) للدكتورة منى أبو الفضل، (أسلوب الحوار، الدوافع، الأهداف، والشروط والآليات والأنماط) للدكتورة أميمة عبود، (أنماط تنقل الأفكار وآلياتها بين التفاعل والأسباب: دراسة حالة العلاقة بين عالم الغرب وعالم المسلمين) للدكتور سليمان الخطيب.
- المحور الثاني بعنوان (مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية)، ويضم خمسة بحوث هي؛ (مفهوم الآخر لدى الجماعات اليهودية الحديثة) للدكتورة رقية العلواني، (مفهوم الآخر في الأديان التوحيدية) و (مفهوم الآخر في المسيحية الكاثوليكية) للأب الدكتور كريستيان فان نسبن، (مفهوم الآخر في المسيحية المصرية) للأستاذ سمير مرقس، (المسيحية الإنجيلية (البروتستانتية) والموقف من الآخر) للقس الدكتور إكرام لمعي.

المحور الثالث يتناول (الأنا والآخر من منظور قرآني) في بحث للدكتور سيد عمر.

المحور الرابع بعنوان: (الثقافة والحضارة، مقاربة بين الفكرين الغربي والإسلامي)، ويضم بحثي (الثقافة والحضارة من منظور إسلامي) للدكتور فوزي خليل، و (الثقافة والحضارة والدين، مقاربة للمفاهيم في الفكر الغربي) للأستاذ فؤاد السعيد.

- المحور الخامس بعنوان (العلاقات الدولية، البعد الديني والحضاري)، ويضم بحثي (البعد الديني في دراسة العلاقات الدولية) للدكتور عبد الخبير عطا، و (توظيف المفاهيم الحضارية في التحليل السياسي: الأمة كمستوى لتحليل العلاقات الدولية) للدكتورة أماني صالح.
- المحور السادس يضم بحثاً بعنوان (حوار الثقافات، إدارة الأجندات والسيناريوهات المتنازعة) للدكتور حسن وجيه.
- وأخيراً المحور السابع يضم بحثاً بعنوان (العولمة والإسلام رؤيتان للعالم) للدكتور سيف الدين عبد الفتاح.

كما أفضت الاجتماعات التحضيرية إلى الاتفاق أيضاً على أهداف وغايات المشروع، وعلى المنهاجية العامة لتأكيد الرابطة بين المشروع البحثي وبين قضية أنماط العلاقة بين الحضارات من واقع متطلبات اللحظة التاريخية الراهنة، سواء لأغراض عملية سياسية (تتصل بالعلاقة بين الغرب وعالم المسلمين) من ناحية، أو لأغراض معرفية وفكرية (تتصل بعمليات المراجعة الراهنة في النموذج المعرفي للعلوم الاجتماعية والإنسانية القائمة على مشروع الحداثة والعلمانية والوضعية) من ناحية أخرى.

من أهم القواعد العامة عن أبعاد المشروع وغاياته:

ضرورة الوعي بالعلاقة بين دوائر ثلاث للبعد الحضاري، ووضعه على صعيد كل منها:

- الدائرة الأولى؛ تثير وضع البعد الحضاري / الثقافي في العلوم الاجتماعية بصفة عامة، والعلوم السياسية بصفة خاصة، سواء على نطاق محدود أم على نطاق واسع يرسم خريطة متكاملة الأبعاد لهذا الوضع.

- الدائرة الثانية؛ تثير قضية تأصيل مجال الدراسات الحضارية، وتطوير منظور حضاري للعلوم السياسية.
- الدائرة الثالثة؛ تثير وضع الاهتمام بالبعد الحضاري لعلاقته بمجال أو موضوع حوار الحضارات أساساً.

هذا وقد حددت د. منى أبو الفضل العلاقة بين هذه الدوائر على النحو التالي:

«والتحدي ليس هو التسكين للدراسات الحضارية في حقل العلوم السياسية، ولكن تطوير منظور العلوم السياسية ذاته انطلاقاً من أهمية البعد الحضاري الآن. وهذا يرتبط بمراجعة الحقل من منظور حضاري. وهذه المراجعة ليست مستحدثة تماماً؛ لأن هناك تقاليد سابقة قدمها أ. د. حامد ربيع. إذن لدينا أسس للبناء عليها، وهي أسس أصيلة، وهي استجابة لتحدي مسار الوضعية الذي اتسمت به المدرسة الأمريكية، في حين أن أ. د. حامد ربيع نبت في أحضان الحضارة الأوربية حيث الحس الحضاري، واكتشف الإسلام الحضاري خلال دراسته في الأديرة الإيطالية... وبعد مجال النظرية والفكر مع د. حامد ربيع جاء دور النظم مع إسهام منى أبو الفضل في التعامل مع النظم العربية من منطلق حضاري وليس من منطلق المصادر الأمريكية. إذن لدراسة السياسة لدينا أصول للنظرية والمنهاجية تمت ممارستها على التوالي من فرع إلى فرع وصولاً إلى العلاقات الدولية. وكان مولد المنظور الحضاري للعلاقات الدولية عند هنتنجتون، وهو تطور لجذور فكره في مجال النظم المقارنة، حيث استبطن موضوع موضع الدين من التكوين الثقافي وأثره في النظم الديمقراطية...

إذن اهتمامنا ليس تلمس البعد الحضاري والمنظور الحضاري لدى الغرب فقط؛ ولكن تطوير منظورنا الحضاري في هذا المجال، لأن البعد الحضاري موجود سابقاً، ولكنه كان مستبطناً (implicit) في المنظور الغربي

وفي خلفيته، ثم بدأ يبرز ويتجدد الاهتمام به. فلقد كانت العلوم السياسية متأخرة في إدراك البعد الحضاري بالمقارنة مع حقول معرفية أخرى.

حينما أتحدث عن المنظور الحضاري لا أقصد الإسلامي فقط ولا أبدأ بالإسلامي، ولكن أبدأ بالوعي بالبعد الحضاري، وحين البحث فيه أصل إلى الإسلامي مقارناً بغيره. وقد يكون المدخل مادياً حضارياً وليس بالضرورة الديني فقط. وهو موجود بالغرب ويعبر عنه بمداخل عديدة، ولكنه لدينا يعبر عن مفترق طريق. ومن هنا تأتي أهمية التأصيل لمنظور حضاري من الإسلام أو غيره، وهو ليس تأصيلاً للإسلام والمسلمين ولكن للعالمين».

وعن وضع المشروع البحثي في نطاق الخطة العلمية لبرنامج حوار الحضارات، وعلاقته بوضع البعد الحضاري في العلوم السياسية والاجتماعية من ناحية، وبمنظور حضاري للعلوم السياسية من ناحية أخرى، حددت د. نادية مصطفى النقاط التالية:

١- إن غاية المشروع هي التأصيل النظري للعلاقة بين الثقافة والحضارة والدين على النحو الذي يخدم دراسات حوار الحضارات، حيث تتداخل المفاهيم ولا تتضح الأطر النظرية.

٢- هذه الغاية تنطلق من العلوم السياسية، ومن ثم كان لابد من التساؤل عن وضع البعد الحضاري بصفة عامة من دراسة العلوم السياسية، بحثاً عن وضع مجال حوار الحضارات في الدراسات السياسية المعاصرة وفهماً له.

٣- وحيث إن البعد الحضاري قائم في مجالات معرفية أخرى، وحيث تتقاطع الحدود بين هذه المجالات وبين مجال العلوم السياسية في مرحلة تعالت فيها الدعوات إلى التعاون بين العلوم، فلا بد من الاستعانة بالتأصيلات النظرية عن الموضوع التي قدمتها هذه العلوم.

٤- الاهتمام بوضع البعد الحضاري في العلوم السياسية والاجتماعية لا يعني البحث عن منظور حضاري إسلامي فقط، لأن البعد الحضاري قائمٌ الاهتمام به - ولو بمعانٍ مختلفة - لدى التيارات والاتجاهات المتنوعة. ومن ثم فإن التأصيل النظري المطلوب سيكون من منظورات مقارنة، وليس من منظور حضاري إسلامي فقط.

٥- لا يمكن أن نظل - على صعيد المنظور الحضاري الإسلامي - مكتفين بالدعوة إلى أهميته وضرورته، ولكن يجب أن نمتد إلى أبعد من ذلك. ومن ثم فإن التأصيل النظري للعلاقة بين الحضارة والثقافة والدين سيكون ساحة أساسية لبلورة إسهام المنظور الحضاري الإسلامي في هذا المجال، ومن ثم يكون هو دعامة من دعامات مجال الدراسات الحضارية، ويصبح ذلك المجال بدوره نتاج ومحصلة عمليات عديدة.

المنهاجية العامة

- أهمية الدراسات المنهاجية المقارنة على المستويات التالية: الأنساق المعرفية، منظورات العلوم الاجتماعية، الأديان والحضارات.
- التمييز بين الدراسات النظرية والفكرية والتاريخية ضروري لتسهيل العملية البحثية، ولكن دون قطع الصلة بين هذه المجالات.
- التمييز بين مستوى الأبستمولوجية، ومستوى القضايا، ومستوى العمليات، ومستوى المفاهيم.
- غاية المشروع ليست مجرد القراءة في الاتجاهات المقارنة حول موضوعاته التي تقدمها الدراسات الحضارية المتنوعة، ولكن

الغاية أبعد من ذلك، وتمتد نحو الاجتهاد لتأسيس مجال دراسات حضارية في نطاق العلوم السياسية.

ليست القضية قضية في مجال اجتماع أو تاريخ أو فلسفة فقط، ولكن هناك مجال دراسات حضارية في حد ذاته وله مداخل مختلفة تعبر عنها مصادر أساسية في كتب الحضارات، حيث لكل منها مدخل خاص يخدم الدراسات السياسية، كما هناك مصادر في العلوم السياسية من مداخل حضارية. بعبارة أخرى هناك مجال دراسات حضارية يمكن تأسيسه من تقاطعات مصادر مختلفة، سواء في العلوم الاجتماعية أم كتب الحضارات.

ومع الاعتراف بأن مجال الدراسات الحضارية مجال تصب وتتقاطع عنده الأبعاد الحضارية في العلوم الاجتماعية المختلفة، ويجمع بين منظورات متنوعة، إلا أنه يظل للإمكانيات الزمنية والبشرية والمادية للمشروع تأثيرها الذي يدفع إلى ضرورة التمييز بين مشروع بحثي يكون نواة في تأسيس مجال الدراسات الحضارية، وبين مجال الدراسات الحضارية ذاته.

ولذا فإن على برنامج حوار الحضارات الاهتمام بمشروعات ثلاثة: النظرية، النماذج الفكرية، النماذج التاريخية؛ فهي خطوات تدريجية في نطاق بناء هذا المجال.

- الحذر من اعتماد المنهج الوصفي فقط، والسعي لاكتشاف طبيعة المنظومات المعرفية المتفاعلة، وأثرها في موضوعات وقضايا حوار الحضارات والثقافات.
- إن التعامل مع الأدبيات الكبرى في مجال الفكر والدراسات الحضارية، ليس هدفاً في حد ذاته، ولكن يجب كسر الحلقة المفرغة من خلال عملية استحضار النموذج المعياري خلال القراءة والاكتشاف للنماذج الفكرية للكتب التي نتعامل معها، وبذا لا نقدم رصداً ووصفاً لفكرة فقط، ولكن نقدم استخلاصاً

ودلالة لما يقدمه فكر ما من أدلة عن المنظومة التي ينتمي إليها معرفياً، إذن هذا الفكر ليس مرجعية، ولكنه ساحة وسبيل لاكتشاف حقيقته من خلال استكشاف Western intellectual tradition في مقابل النسق التوحيدي. وكل هذا يخدم ويساعد الحوار الجاري الآن، واكتشاف القواسم المشتركة بين المنتمين إلى حضارات مختلفة، في محاولة للالتقاء حول قيم، والبحث عن الجذري في التقاليد الغربية وأبرزها، وتبين مدى قربها أو بعدها عن النسق التوحيدي، وبذا نقوم بتفكيك الفكر الغربي والأنماط المعرفية الغربية.

هكذا حددت د. منى أبو الفضل، في معظم الحالات، وكذلك د. نادية مصطفى القواعد المنهاجية العامة التي تفك الاشتباك بين مجال دراسات حضارية، وبين منظور حضاري، وبين حوار الحضارات.

ولذا كان من المنطقي أن يبدأ هيكل المشروع البحثي بالمنطلقات المعرفية للحوار، التي قدمتها دراسة مستخلصة من دراسة جامعة شاملة أعدتها د. منى أبو الفضل، في بداية التسعينات مؤسسة فيها لمنطلق أساسي في مجال الدراسات الحضارية المقارنة، ألا وهو (الأنساق المعرفية المتقابلة).

المرحلة الثانية من المشروع هي مرحلة إعداد خطط البحوث ومناقشتها جماعياً (تشرين الأول / أكتوبر ٢٠٠٣ - كانون الثاني / يناير ٢٠٠٤).

فلقد جرت خلال أشهر ثلاثةٍ أربعةُ اجتماعات لمناقشة هذه الخطط، تم خلالها اختبار مدى تحقق غايات المشروع وأهدافه، ومدى إمكانية تطبيق القواعد المنهاجية العامة، ومدى الاتساق بين موضوعات كل محور، ومدى التماسك في بنية المشروع بأكمله، كما تم خلال هذه المناقشات معالجة منهاجية كل دراسة، وكيفية استعانتها بالمصادر

المتنوعة، وكيفية رسم خرائط الأفكار وتقديم رؤى نقدية ورؤى بنائية تستجيب لغايات المشروع وأهدافه.

هذا، ولقد شهدت المرحلة الثانية جهداً بحثياً موازياً ومكملاً؛ ألا وهو الجهد الخاص بإعداد قائمة إصدارات في مجال الدراسات الحضارية، وفق مفاتيح البحث للتأصيل النظري التالية: الحضارة وفلسفتها، مفكرون كتبوا عن الحضارة، الحضارة الإسلامية، فلسفة التاريخ، حوار الحضارات.

المرحلة الثالثة من المشروع هي مرحلة إعداد البحوث، واستغرقت ستة أشهر حتى حزيران / يونيو ٢٠٠٤.

وتمثلت المرحلة الرابعة في ندوة جماعية تم عقدها في أيلول / سبتمبر ٢٠٠٤. ولقد اقتصرت على الأساتذة معدي البحوث (باستثناء د. رقية العلواني، وكذلك د. حسن وجيه و د. سيف الدين عبد الفتاح) حيث جرى عرض كل بحث ومناقشة هيكله ومضمونه ونتائجه، واستغرقت الندوة ثلاثة أيام مثلت حواراً معمقاً بين أعضاء فريق البحث، وخاصة حول البحوث الخمسة المتصلة بالرؤى ذات المصادر الدينية، اليهودية المسيحية والإسلامية، عن العلاقة بين الذات والآخر.

وفي حين كان من المقرر أن يتم تقديم ثلاثة بحوث حول البعد الحضاري في فروع العلوم السياسية، العلاقات الدولية، الفكر السياسي، النظم المقارنة، فإنه لم يستطع كل من د. عبد الغفار رشاد، و د. مصطفى منجود - لظروف خاصة - تقديم بحوثهما في مجالي النظم والفكر، على التوالي.

أما المرحلة الخامسة فلقد استغرقت بدورها ما يقرب من الأشهر الستة لإعداد الصيغ النهائية للدراسات، بحيث تم في صيف ٢٠٠٥ استلام جميع البحوث.

وأخيراً جرت عملية التحرير والمراجعة الفنية والعلمية للمشروع خلال الأشهر الأخيرة من عام ٢٠٠٥.

وإذا لم يكن بمقدور السطور السابقة أن تلخص حجم ونوعية النقاشات التي شهدتها المرحلتان الثانية والرابعة من المشروع، وإذا كان من الممكن القول: إن البحوث في مجموعها تمثل تراكماً نوعياً لم يسبقه - في حدود علمنا (في دائرة النشر العربية) - مجهود جماعي مناظر في هذا المجال، وبالرغم من إمكانية الاشتباك المعرفي أو الفكري أو المنهاجي مع بعض البحوث من حيث مدى مراعاتها للقواعد المنهاجية العامة، وبالرغم من إمكانية الاشتباك أيضاً مع منطلقات المشروع في مجمله؛ فإنه يمكن القول إن هذا المشروع كان تأسيساً لا غنى عنه لبرنامج حوار الحضارات.

حقيقة استغرق تنفيذه ثم إعداده للنشر ثم الاتفاق على نشره، وقتاً أطول بكثير مما كان مفترضاً له، إلا أن مخرجاته المعرفية والفكرية انعكست على مسار أنشطة برنامج حوار الحضارات وعلى خريطة بحوثه وملتقياته: في مفهوم الحضاري، جدالات حوار صراع الحضارات في ظل العولمة، الخصوصية الثقافية، اللغة والهوية وحوار الحضارات، مسارات وخبرات في حوار الحضارات، العلاقة بين الديني والمدني والسياسي، الأمة وأزمة الثقافة والتنمية، أوربة وإدارة حوار الثقافات الأورومتوسطية، الدبلوماسية العامة للولايات المتحدة تجاه العالم الإسلامي.. إلخ[1].

فمما لا شك فيه أن تأصيل العلاقة بين الدين، الثقافة، الحضارة من منظور الأنساق المعرفية المتقابلة، يمثل المنطلق سعياً نحو فهم وإدراك

(١) انظر قائمة أنشطة البرنامج وإصداراته (٢٠٠٢ - ٢٠٠٧) على موقعه www.hewaronline.net.

آليات ومسارات وجدالات حوار / صراع الثقافات والحضارات، وفي قلبها العلاقة بين العرب والعالم الإسلامي.

ومن ناحية أخرى فإن هذا المشروع البحثي التأصيلي إنما يمثل حلقة تستوجب استكمالها بحلقات أخرى من التأصيل النظري أيضاً. ومن ثم فإن البرنامج يخطط لمشروع يأتي عن التحليل الثقافي سيقوم على تنفيذه في خطته العلمية الخمسية الثانية (٢٠٠٧)، وبعد أن اتخذ البرنامج اسماً آخر وهو (برنامج الدراسات الحضارية وحوار الثقافات).

أخيراً، أقدم شكري وتقديري لنخبة الأساتذة الذين شاركوا في أعمال هذا المشروع على عظيم تعاونهم خلال مراحل إعداد المشروع، وعلى عظيم اهتمامهم به ودعمهم له. ويجدر توجيه الشكر أيضاً لمن يرجع إليهم فضل آخر في إخراج هذا المشروع. وأبدأ بشكر أ. د. جابر العلواني رئيس جامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية في فرجينيا؛ على مساعدته المادية والمعنوية لتنفيذ هذا المشروع وفق بروتوكول تعاون بين الجامعة التي يرأسها وبين برنامج حوار الحضارات.

كذلك أشكر أ. مدحت ماهر باحث العلوم السياسية، وطالب الدراسات العليا، المتميز؛ على قيامه بأعمال تحرير البحوث والمتابعة الفنية والعلمية مع الأساتذة الباحثين، حتى تقديم الصيغ النهائية لدراستهم. كما أقدم شكري للأستاذة علياء وجدي منسقة المشروعات في البرنامج، التي تولت تنسيق المشروع فنياً وإدارياً ومالياً في مراحله المتعاقبة.

وفي النهاية شكر خاص للأستاذ عدنان سالم مدير دار الفكر في دمشق، الذي تحمس لنشر أعمال هذا المشروع الضخم على نحو لم يتحقق من دور نشر أخرى. حيث كان لا بد لمثل هذا المشروع أن تتعهده دارٌ ذات أفق فكري رحب. ولقد استغرق الاتفاق على النشر قرابة ستة

أشهر، وكانت محصلة هذا الاتفاق نشر أعمال المشروع في سلسلة كتب منفصلة، بحيث تتضمن معظم الكتب بحوثاً ومحاور محددة، كما تتضمن بعض الكتب بحثاً واحداً أو أكثر من أحد المحاور.. ولقد وافق برنامج حوار الحضارات على هذا النمط من النشر المتسلسل تسهيلاً على القارئ، إلا أن المقدمة الجامعة للمشروع، والفهرس التفصيلي له في كل كتاب يحققان الربط بين أجزاء المشروع، حيث إنه يمثل بنية متكاملة، تقدم في حد ذاتها رؤية - من بين عدة رؤى - عن كيفية الاقتراب من تأصيل الدراسات الحضارية انطلاقاً من العلوم السياسية وغيرها.

والحمد لله

د. نادية محمود مصطفى

مدير برنامج الدراسات الحضارية وحوار الثقافات

(حوار الحضارات سابقاً)

القاهرة تشرين الثاني، نوفمبر ٢٠٠٧

إدارة الأجندات والسيناريوهات المتنازعة
في
حوار الثقافات

تحليل الخريطة الذهنية للخطابات ذات النطاق التواصلي الأوسع بهدف نحت الأرضية المشتركة؛ والتغلب على الصعوبات الإدراكية لضبط عمليات الحوار وقواعده ومفاهيمه

دراسة من منظور لغويات التفاوض وإدارة الأزمات

أ. د. حسن وجيه

أستاذ لغويات التفاوض الدولي

جامعة الأزهر

تمهيد
النطاق الأوسع لمشكلة الدراسة

نقدم هذا البحث في إطار المشروع النظري الأول المدرج في الخطة العملية الأولى لبرنامج حوار الحضارات بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة؛ للفترة من ٢٠٠٢ - ٢٠٠٤م.

وإذا كان الهدف الرئيسي من هذا البحث في إطار المشروع المشار إليه هو الإسهام بالتأصيل النظري "لعمليات ولغة الحوار: القواعد والمبادئ والمفاهيم"، فإنه من المهم الخوض أولاً في معنى التأصيل. وهنا نجد أن من أكثر أشكال التأصيل شيوعاً في واقعنا ما يتمثل في فهم كثيرين لهذا المفهوم على أنه الدخول في مقدمات طويلة لشرح الجذور وأصول الكلمات عند نقل المصطلحات وتوطينها، ومحاولة الاسترشاد بكلمات في أصل اللغة العربية، ومن ثَمَّ يرى هذا النفر أن التأصيل يكاد يكون تعريباً للمصطلحات وللخطابات العلمية المختلفة... وبكلمات أخرى يكاد أن يكون التأصيل العودة إلى أصول الشيء وتوطين هذه المصطلحات طبقاً لما لدينا من فكر وقيم.

وإذا كان هذا المنظور من التأصيل وارداً ولا نختلف بخصوصه، إلا أننا لا نريد التقوقع في حدوده فقط، بل إن التأصيل النظري لابد أن يتخطى ذلك إلى ما أسميه "التنظير التأصيلي"؛ أي أن نسهم في التنظير العلمي على الساحة الدولية للظواهر والقضايا التي نتناولها بالدراسة، وذلك من خلال منظوريِ العلم التقني ونظام القيم العليا لثقافتنا العربية الإسلامية.. وهذا ما أتبناه في طرحي لمنظور "لغويات التفاوض" الذي

قدمته وأتبناه في دراساتي العديدة؛ والمتمثل في الانطلاق من البعد التقني العلمي لفهم وتحليل ظواهر التفاعل الحواري والتفاوضي وفي إدارة الأزمات، والمنطلق كذلك من القواعد المقصدية للإسلام.

وإذا كان جوهر المنظور العلمي الذي نتبناه -وهو "لغويات التفاوض"- منظوراً نسعى من خلاله إلى الفهم المتعمق لظواهر لغة التفاوض والحوار وديناميكاتها وعملياتها المركبة، فإن هناك مفاهيم عامة عبر السياقات المختلفة سواء كان التفاوض اقتصادياً أم سياسياً أم قانونياً أم اجتماعياً، ولكن الخبرة العملية في التفاعل مع كل سياق قد أظهرت كذلك خصوصيات لكل مجال. من هنا فإن الحديث عن فهم عمليات لغة الحوار والتفاوض وتأصيلها نظرياً لا يمكن أن يتأتى إلا من خلال تقديم رؤيتنا العلمية المنطلقة من القواعد المقصدية للإسلام بخصوص ما عُرف بحوارات الأديان وحوارات الثقافات وحوارات الحضارات.

فلقد حظيَ هذا الموضوع بعدة نظريات مثل (نظرية صدام الحضارات) التي قدمها صموئيل هنتنجتون، بعد أن انطلق من تنظيرات أخرى في ذلك الاتجاه قدمها قبله برنارد لويس وطورها فيما بعد فوكوياما... وتأخذ أشكالاً عديدة تعرضنا لها في دراسات سابقة[١]. كذلك تصور بعضهم أن حوار الثقافات والحضارات والأديان ينطلق من خلال نظرية (الهيمنة الثقافية)، وأن تلك الحوارات تتسم بالتبعية وتدور في إطار صراع الثقافة المحلية ضد ثقافة الهيمنة الساعية إلى فرض منظورها على العالم. وسوف نقدم تفنيداً لهذه النظرية في هذه الدراسة. وكان هناك كذلك تنظير ودراسات من جهات كبيرة لمفهوم الحوار وقواعده وعملياته قدمها الفاتيكان مثلاً؛ خاصة في إطار ما عُرف بالحوار الإسلامي/ المسيحي،

---

(١) راجع للكاتب: حروب الهوية ومستقبل التفاوض مع الغرب: نحو المشروع العربي لإدارة النوازل الدولية واستباقها، المكتبة الأكاديمية، القاهرة ٢٠٠٢م.

فهناك من قام بالتنظير لجزئيات معينة كجزئية (فهم المشترك الثقافي)، وما هو وكيفية الوصول إليه.. وقد وصل بعض الساعين في هذا الاتجاه من التصور الوردي إلى حالة من اليأس، وهناك نظريات للحوار من المنطلق الديني البحت؛ سواء من الدين الإسلامي أو المسيحي، إلى آخر ذلك من محاولات للتنظير والتأصيل على عدة محاور وأرضيات في إطار هذا المجال المتسع.

ولقد أدى وجود هذه (النظريات) إلى وجود من يتبناها ولا يرى غير الزاوية التي طرحتها كل نظرية، وبعضهم يقول بصحة هذه النظرية أو تلك بشكل تعميمي مبالغ فيه وشبه إطلاقي يجعله يأخذ مواقف بعينها من حوار الحضارات والأديان والثقافات... وسنرى في هذه الدراسة كيف وصل الأمر بمفكرين كبار أن يقول أحدهم مثلاً: "أنا ضد حوار الأديان"، وكيف أن آخرين قالوا: "إن كل هذه المؤتمرات والاجتماعات ليست إلا كمائن لنا..."!! وذهب بعضهم إلى القول بأن "الأمر لا يعدو كونه سعياً إلى الهيمنة؛ ولذلك لا بأس أبداً من مقاطعة كل هذه المؤتمرات والجهود"، وهناك من مارس الحوار في ظل هذه التجمعات الدولية من منطلق معلومات قاصرة أو ناقصة أو خاطئة تماماً، وراح -ومعه نفر آخر- ضحية (حروب المعلومات) أو (الحروب النفسية) التي تشن، خاصة ضد العالم الإسلامي، في إطار هذا الموضوع المتسع كما ذكرنا.

وقبل أن أحاول وضع كل هذه التوجهات موضع الدراسة التحليلية، ننطلق من خلال خريطة ذهنية نستخدمها أداة للتقويم وللرؤية الاستراتيجية لمجمل خريطة التفاعلات من منظور لغويات التفاوض؛ لتمحيصها وتفنيدها ووضع تصور استراتيجي علمي، وهذا ينطلق من المقاصد التالية:

١. إن الانسحاب من هذه الجبهة التفاعلية الصعبة المتعلقة بحوار الثقافات والأديان لا يتفق نهائياً مع المقاصد الكبرى للإسلام، وللانتماء

لهذا الوطن بتاريخه العريق وثقافته الممتدة في التفاعل مع العالم عبر آلاف السنين... فنحن نمثل حضارة منفتحة وتفاعلية مع العالم، وليس لها أن تتقوقع مهما كانت الصعوبات والظروف.

٢. مع التسليم الافتراضي بصحة هيمنة نموذج أو نظرية صراع الحضارات واستخدام (الحوارات) غطاء ممنهجاً للسيطرة على العالم العربي الإسلامي؛ أليس من عمق قيم ثقافتنا والمقاصد الكبرى للإسلام أن نتصدى لهذا العداء الجائر بأساليب علمية مبتكرة؟ أليس - على الأقل - من الواجب علينا إنشاء مصدات لامتصاص آثار الحرب النفسية التي تدار من خلال نموذج صدام الحضارات ومحاولة دوائر بعينها تفعيله؛ وأن نفعل ذلك من أجل عدم تمكين هذا النموذج من أن يحقق أهدافه التي هي بالتأكيد ليست في مصلحتنا ولا تنطبق مع توجهات المقاصد الكبرى لقيمنا وثقافتنا وديننا؟

٣. إن التحليل الأوليَّ لعينات كثير من تفاعلات (حوار الحضارات أو الثقافات أو الأديان)، أو ما يسمى بـ (الحوار الإسلامي/ المسيحي) أثبت وجود أخطاء وتجاوزات تبتعد عن العلم ومقاصد الدين معاً على الجانبين؛ الجانب الغربي أساساً والجانب الممثل للعالم العربي الإسلامي على سواء، وهو الأمر الذي يستدعي التدخل العلمي الصارم لتوضيح أوجه الخلل هذه، والتي ستكون السبب في إهدار أمور كثيرة وترسيخاً لحالة اللاحوار القائمة، هذا حتى إذا غاب عن الساحة منظّرو صدام الحضارات وأصوات التعصب والكراهية في عالمنا، فستظل مشكلة افتقاد الأبعاد التقنية العلمية في السعي لنحت الأرضية المشتركة الصعبة، وإدارة الأجندات، مشكلة قائمة، من هنا فإن الدراسة تتعامل مع هذا البعد على أنه بعد حيوي يحتاج إلى المعالجة العلمية والأخلاقية معاً.

هل نحن بصدد التعامل مع مشاكل الحوار عبر الثقافات والأديان والحضارات أم نحن بصدد إدارة أزمة ممتدة؟!!

تتأرجح حالة حوارات الثقافات والحضارات والأديان بين من يرى أنها ذات أنماط متفاوتة، فهناك حالات قليلة من الانسياب والنجاح أو حالات من (تحصيل الحاصل)، وهناك من يرى أننا بصدد أزمة عميقة ممتدة بين العالم العربي الإسلامي والغرب، وأن هذه الأزمة إن لم يتم إدارتها من الطرفين بشكل إيجابي فإنها ستكون -إن لم يكن هذا هو الحادث في حالات بعينها- في حالة انزلاق لأزمات متعددة "Crisis slide" ستؤثر سلبياً في الجميع في هذا العالم.

فلقد شبَّه الكاتب محمد سيد أحمد - في مقال له (حول صدام الحضارات) بجريدة الأهرام- هذا الصدام بأنه قد يتحول في أي لحظة إلى (تسونامي) كبير كالذي أطاح بالآلاف في جنوب شرق آسية في لحظات. ويقول زين العابدين الركابي - في مقال له بعنوان: (مخاطر حضارة جديدة: نزول العداوات إلى ساحات الشعوب) (الشرق الأوسط ٤/ ١٢/ ٢٠٠٤)- "أن نموذج صدام الحضارات قد تحول بالفعل إلى شوارع هولندة مؤخّراً بعد مقتل المخرج الهولندي (ثيوفان جوخ) على يد مسلم مغربي مقيم في هولندة وما تبع ذلك من أحداث عدائية وصارخة ضد المسلمين في هولندة".

وإذا قمت بتجميع عناوين جرائد المعارضة في واقعنا الثقافي، لوجدت في كل عدد كثيراً مما يرصد من الكتب أو البرامج الإعلامية المليئة بالاتهامات والشتائم الموجهة لرموز الدين الإسلامي حتى وصلت إلى الرسول ﷺ، ومع أنني ضد إعادة إنتاجها من قبل هذه الجرائد، إلا أن هذا يعكس حقّاً أننا قد أصبحنا في حالات تفاعلات معبرة عن عمق الأزمة الممتدة التي علينا أن نديرها... إما للخروج من مسار انزلاقها إلى الأسوأ

في أقل تقدير، أو الخروج إلى آفاق بناء الثقة، وإلى العمل الإنساني المشترك للتغلب على المشاكل الحقيقية للجميع في هذا العالم..

كان كل ما سبق تصويراً للنطاق الأوسع لمشكلة هذه الدراسة.

المشكلة المحددة لهذه الدراسة:

تتمثل المشكلة الرئيسية التي تتعامل معها هذه الدراسة في وجود فهم قاصر أو محدود لتقنيات الحوار والتفاوض ومفاهيمها؛ مما أدى إلى وجود أخطاء تفاعلية كبيرة على كل من الجانبين الغربي والإسلامي؛ وهو الأمر الذي ينبغي رصده والكشف عنه والسعي للتصدي له من أجل ترشيد حوار الثقافات والأديان بعيداً عن أوجه الخلل القائمة. كما أن المشكلة في شقٍّ آخر لها تتجسد في الفهم القاصر والمحدود لمفهوم الأرضية المشتركة Common Ground وصياغتها، فالبعض يتحدث عن هذا المفهوم المركَّب بأسلوب (إنّ وأخواتها) أو بعقلية الينبغيات أو ما نتمناه (Wishfull thinking)، دون إدراك للصعوبات الإدراكية المتعددة Perceptual Problems من ناحية، وإدراك أن نحت أو صياغة الأجَندة المشتركة يتطلب من الناحية الأخرى إدارة فعالة للأجندات والسيناريوهات المتنازعة؛ واتخاذ مواقع وتحركات ديناميكية على عدة محاور لصياغة تلك الأجندة المشتركة في حوار الثقافات والأديان، وذلك فيما يتعلق بكل خطاب من الخطابات السبعة ذات النطاق التواصلي الأوسع التي قمنا برصدها من خلال ما أسميناه "الخريطة الذهنية لخطابات حوارات الثقافات والأديان"؛ والتي نعتبرها أداة "تقويم استراتيجي" أساسية Strategic Assessment Tool، تتيح لنا الفهم الديناميكي والمتعمق لطبيعة مفاهيم وعمليات الحوار والتفاوض المتعلقة بكل خطاب من الخطابات السبعة التي حددناها ورصدنا ملامحها الرئيسية، فمثلاً هناك أرضية مشتركة

ذات طبيعة خاصة لكل حالة ولكل نوع من الخطابات بما في ذلك ما يتعلق بالحوار الديني (الثيولوجي) مثلاً، وبعيداً عما ينطق به هذا المفكر أو ذاك في واقعنا الثقافي أو في الغرب ممن يطالبون بغلق باب الحوار الديني/ الديني؛ حيث يقول د. سليم العوا مثلاً: "أنا ضد حوار الأديان"، كما أشرنا، أو كما قال بذلك أيضاً آخرون منهم الفقيه د. محمد رأفت عثمان.

إن هناك أرضية مشتركة ذات طبيعة خاصة فيما يتعلق بكل خطاب؛ حتى خطاب صدام الحضارات، تتمثل في إنشاء رؤوس كبّارٍ مع قطاعات واسعة من الرأي العام الأمريكي والعالمي لمنع أصحاب هذا النموذج من إحداث مزيد من التعبئة الجائرة؛ وكشف ضعف وتلفيقات حُججهم بشكل مباشر وغير مباشر.. إلى آخر ذلك مما تتعرض له الدراسة بالتفصيل وبدراسة حالات محددة، بعيداً عن التجريد النظري الإطلاقي والتعميم الزائد عن دراسة الحالات المحددة عند تناول أمر الحوار والتفاوض والتنظير بخصوصهما، في واقعنا على وجه الخصوص.

أسئلة الدراسة:

١. ماذا عن طبيعة الخطابات والأجندات والسيناريوهات المتنازعة التي تحويها الخريطة الذهنية Cognitive Map الخاصة بحوار الثقافات والأديان والحضارات الراهنة؟

٢. ماذا عن الخصائص اللغوية والثقافية والحجج التي يتم تداولها في إطار كل من الخطابات ذات النطاق التواصلي الأوسع المتضمنة في إطار كل خطاب من خطابات الخريطة الذهنية؟

٣. ماذا عن طبيعة أوجه الخلل القائمة في التفاعلات الحوارية والتفاوضية بين الواقع العربي الإسلامي والغربي من خلال حالات تفاعلية محددة؟

٤. ماذا عن بُعد (نحت الأرضية المشتركة) ومستوياتها المختلفة بخصوص كل خطاب من الخطابات السبعة لإدارة الأجندات المتنازعة في حوار الثقافات، ولمصلحة مباراة يكسب منها الجميع؟

٥. ماذا عن عملية التقنية اللازمة لبناء وصياغة السيناريوهات الحاضنة Nesting Scenarios في حوار الحضارات والثقافات؟

٦. ما المقصود (بتفاعلات النظم) System Dynamics كتقنية حيوية لتحليل الخطاب وإدارة الأجندات المختلفة؟

٧. ماذا عن فخاخ التفاوض (Negotiation Traps) في إطار ملفات التفاعل في حوارات الثقافات والحضارات والأديان وأهمية إدراكها؟

٨. ماذا عن منظور المقاصد الكبرى للإسلام في إطار فهمنا لتفعيل حوار الثقافات والأديان والحضارات نحو مباراة يكسب منها الجميع؟

٩. ماذا عن القناة التفاعلية المطلوب تدشينها، وما سمات التفاعل المطلوبة بخصوصها؟

بيانات هذه الدراسة (Data)

ينقسم بنك بيانات هذه الدراسة إلى جزأين رئيسيين هما:

أ) ملف مجموعة البيانات رقم (١) Data Set #1

وهي بيانات قام كاتب السطور بتنميتها على مدى زمنيٍّ طويل؛ من الثمانينيات إلى اليوم، وتخص بُعد التواصل عبر الثقافات وحوارات

الثقافات والحضارات، وتشمل الكتب، والدراسات والأبحاث والمقالات الصحفية، وتفاعلات المؤتمرات الدولية والندوات، ومادة من الشبكة الدولية للمعلومات Internet، ووقائع تفاعلية كان الكاتب أحد أطرافها وسجلها في مناظرات في وسائل الإعلام العربي والدولي.

ب) مجموعة البيانات رقم (٢) Data Set # 2

هي بيانات حلقتي نقاش خاصة تمت بين عدد من الشخصيات الدولية البارزة التي شاركت في المؤتمر الدولي السنوي للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف المصرية عام ٢٠٠٤، وتعتبر كأنها تقنية (إجراء تفاعلات الخبراء وتسجيل أحكامهم Group Dynamics & Expert Judgment).

إجراءات الدراسة:

١. تم في المرحلة الأولى قراءة كمٍّ ضخم من البيانات الخاصة بموضوع الدراسة (ملفات بيانات حوارات الحضارات والثقافات والأديان)، وذلك بهدف استخلاص خطابات الخريطة الذهنية Cognitive Map وعناصرها، والتي نهدف من تشييدها إلى إيجاد أداة تقويم أولية Basic Assessment Tool تمكننا كذلك من الرؤية الاستراتيجية الكلية لخريطة التفاعلات بخصوص موضوع الدراسة (من خلال البيانات رقم (١) أساساً Data Set # 1).

٢. القيام بتحليل السمات الرئيسية لكل خطاب من خطابات الخريطة الذهنية وتوضيح المقصود به من خلال تسجيل حالات تفاعلية واقعية.

٣. القيام بتحليل مجموعة البيانات رقم (٢) وهي قراءة تحليلية لمسار الحجج المتبادلة بين الخبراء الدوليين حول موضوع هذه الدراسة نفسه Argumentation Analysis لتحديد مسار الحجج التي وصل عددها إلى (أربع وعشرين) حُجة تتناول كلٌّ منها زاوية لطرح الموضوع.. وهي مكمِّلة لمجموعة البيانات رقم (١)، ومفصِّلة لجزئيات من الخطابات المستخلصة منها.

٤. دمج الحجج الأربع والعشرين تحت الحجج الحاضنة Nesting Arguments لتكون المادة الأساسية لصياغة السيناريوهات الحاضنة Nesting Scenarios الرئيسية، لتقديم ثلاثة سيناريوهات؛ ومن ضمنها ذلك السيناريو المعياري (Normative Scenario) الذي ينبغي أن يتم السعي إلى تحقيقه على المستوى العربي الإسلامي والدولي أيضاً.

٥. الاستطراد في توضيح المتطلبات التقنية لإدارة الأجندات المتنازعة التي تتضمنها خطابات الخريطة الذهنية والسيناريوهات المتمخضة عنها (وهنا يتم رصد فخاخ التفاوض والحوار القائمة، والسعي إلى تجنبها).

٦. استخلاص مستويات نحت صياغة الأرضية المشتركة، والتأكيد على القواعد المقصدية للإسلام في هذا الإطار.

الجزء الأول

تحليل لأهم عناصر خطابات الخريطة الذهنية الموضحة للتوجهات القائمة في إدارة وممارسات حوارات الثقافات / الأديان

تمهيد

نقدم فيما يلي ما أسميه بالخريطة الذهنية (Cognitive Map) العاكسة لتوجهات وحالات خطابات تفاعلية بعينها تدخل في إطار شبكة التفاعلات المتعلقة بحوارات الثقافات والأديان القائمة في عالم اليوم ذات النطاق الأوسع..

وهذا الرصد التحليلي للخطابات أداةٌ رئيسية للتقويم الاستراتيجي Strategic Assessment Tool ومحاكاة للرؤية الاستراتيجية لأرضية (ملاعب التفاعلات) وتقويم ما نراه على كونه سلبياً أو إيجابياً؛ وذلك بهدف ترشيد حركة التفاعلات الكبيرة الجماعية من خلال الإجماع على قواعد ومعايير (Standards) وأصول بعينها تمكننا من فهم الطبيعة المعقدة للغاية لإدارات الأجندات المتنازعة أو غير المتجانسة، بهدف التمكن من نحت وصياغة الأرضية المشتركة التي تمكن الأطراف -ذات التوجه الإيجابي والعادل- من منع العدوان وإنشاء السلام العادل بعيداً عن

المعايير الازدواجية، وخلط الأوراق والصعوبات الإدراكية القائمة، وهي الأرضية التي تمكننا من تعظيم الناتج الإيجابي لحوار الثقافات والأديان والإمساك بالخطوط الصحيحة التي، وإن لم تدفع بعمليات الحوار والتفاوض إلى الأمام، فإنها تمكننا من إنشاء مصدات تفاعلية تمنع حدوث السيناريو الأسوأ على الصعيد العربي الإسلامي ذاته؛ وعلى صعيد العلاقات الدولية بين العالم العربي الإسلامي والغرب خاصة. وفيما يلي الملامح الدولية الرئيسية لخريطة خطابات حوارات الثقافات والأديان كما في الجدول التالي:

الجدول رقم (١)
الخريطة الذهنية لخطابات حوارات الثقافات والأديان

١	خطاب الحوار الديني/ الديني (الثيولوجي) (وخطاب المساجلة والمناظرة، وخطاب المعرفة العلمية في الواقع وفي أقسام الأديان المقارنة) [حالات توضيحية].
٢	خطاب (كمائن) حوارات الثقافات والأديان ومسألة الأجندة المتخفية في الحوار [حالات توضيحية].
٣	خطاب وسيناريوهات المعلومات الناقصة وإشكالية (مربعات التفاوض السلبي) الخاصة بهذا المستوى.
٤	خطاب وسيناريوهات العداء الصريح وحملات المعلومات الملغومة والمعادية للإسلام في الغرب.
٥	خطاب وسيناريوهات اللاحوار واللاتفاوض.
٦	الخطاب التفاعلي الباحث عن الأرضية المشتركة وصياغتها علمياً وأخلاقياً في حوار الثقافات والأديان والحضارات.
٧	خطاب موضوعات التفاعل الدولي في عصر العولمة وطبيعة التفاوض التنازعي والتعاوني في هذا السياق عبر الثقافات والحضارات.

أهم العناصر التفاعلية في خطابات الخريطة الذهنية الموضحة للتوجهات والتفاعلات القائمة في إدارة وممارسات حوارات الثقافات والأديان:

(ملف البيانات #١ - Data File #1)

يتضمن ملف البيانات #١ بهذه الدراسة عدداً كبيراً من الكتب والأبحاث والمقالات ووقائع الندوات والمؤتمرات الدولية عن الموضوعات التي جاءت تحت مصطلحات (حوار الحضارات)، و (حوار الثقافات) و (حوار الأديان) أو (الحوار الإسلامي/المسيحي)، وتابعها الباحث على فترة زمنية من الثمانينيات إلى اليوم (٢٠٠٥) كما أشرنا؛ أي على مدى الفترة من قبل أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ وبعدها؛ إذ أخذت موجة الأبحاث والمؤتمرات تحت تلك العناوين دفعة كبيرة. وفيما يلي أهم عناصر الخطابات الممثلة للحالة الحوارية التفاوضية، أو اللاحوارية واللاتفاوضية، لتفاعل الثقافات والأديان من واقع ملف البيانات #١ لهذه الدراسة، وسنقدم لكل خطاب اسماً وأمثلة من واقع تاريخ التفاعلات.

أولاً- خطاب المناقشة والمساجلة الثيولوجية (الدينية) البحتة

وهو ما أسميه بالإنجليزية

[Discourse of pure theological discussions & debates]

ولهذا الخطاب ثلاثة أمثلة رئيسية وهي:

أ. حالة ممثلة للمناظرات (مثل تلك التي حدثت بين أحمد ديدات والقس أنيس شورش وجيم سواجرت وما شاكلها[١]، وكالتي يقوم بها القس زكريا مرقص على قناة فضائية).

---

(١) راجع على سبيل المثال لا الحصر: المناظرة الكبرى بين الشيخ أحمد ديدات والقس أنيس شورروش، ترجمة د. رمضان الصفتاوي، المختار الإسلامي ١٩٩١.

ب. حالة الأبحاث الأكاديمية في عشرات من أقسام (الديانات المقارنة) Comparative Religions في عشرات الجامعات عبر أنحاء العالم المختلفة.

جـ. حالة المناقشة الثيولوجية -الدينية البحتة- من قبل معتنقي الأديان المختلفة من باب التعرف على أصحاب كل دين وفهمهم للآخر... وهي التي قد ترتبط في حالات بعينها بعملية التحول من دين إلى آخر(١).

يتمثل هذا الخطاب الثيولوجي/الديني البحت في المستويات الثلاثة المذكورة أعلاه، وأخطر ما في هذه النوعية من الخطابات أن يتحول الحوار إلى مناظرات ومساجلات حادة وتناحرية أو استغلالية بأشكال عديدة، وخطورتها تتمثل أيضاً في النزول إلى ساحة العامة والخروج عن حدِّ المناقشات الجادة والهادئة بين أفراد يتعرفون بعضهم بعضاً في سياقات يحيط بها الاحترام المتبادل والابتعاد عن روح المساجلات والمناظرات والمشاحنات السلبية في مثل هذا النوع الحساس الذي قد يهدد استقرار المجتمعات؛ أو قد يستغل كذلك في إحداث الفتن الطائفية الدينية وانتشار الشائعات الخاطئة والحالات المثيرة للجدال السلبي.

ولقد أجمع العقلاء من الجانبين على خطورة مثل هذا النوع من الخطابات التي تهدم أكثر مما تبني، وتشيع روح المساجلة السلبية والتربصية خاصة على صعيد العامة. وعلى سبيل المثال لا الحصر أُسجل هنا رأياً لمفكر مسيحي معروف - هو حليم جريس - إذ يرفض نشر شرائط مساجلات ديدات وسواجرت منذ فترة طويلة، ونرصد كذلك رأي

---

(١) راجع على سبيل المثال:

Le Blanc, Abdul Malik, The Bible led me to Islam., Dar Al-Hady an, Riyadh S.A 1999.

المفكر الإسلامي الدكتور محمد سليم العوا الذي صرح برفضه لهذه النوعية من الخطابات حين ذكر: "لقد سُئلت من جهة رسمية عندما كان المرحوم الداعية أحمد ديدات يقيم مناظراته مع القس جيمس سواجرت ويطبعها على شرائط فيديو: هل نوزع هذه الشرائط في مصر مترجمة؟ فأجبت: لا يجوز توزيعها في مصر، وفصَّلت كثيراً في هذا، وحتى الآن لم توزع هذه الشرائط في مصر. وفي السودان أسلم مئة وعشرة قساوسة وسجلوا تجربتهم الإيمانية للانتقال من المسيحية إلى الإسلام على شرائط، وسألتني إحدى الجهات التي كانت تريد أن توزع هذه الشرائط مجاناً في مصر، فأفتيتُهم فتوىً "بأن هذا لا يجوز؛ لأنه يحدث شرخاً وفتنة في العلاقة بين المسلمين والمسيحيين المصريين، ولا تفعلوا هذا"... وبالفعل لم توزع هذه الشرائط في مصر حتى الآن... هذا موقفنا من إخواننا الأقباط، فنحن معهم وهم جزء منا ونحن جزء منهم، لكن الأديان لا تتداخل ولا تُميَّع حدودها، فلكل دين حدوده. وإذا ماعت الحدود بين الأديان ضاعت، ونحن لا نقبل ضياع الأديان"[1].

أسئلة سمات الخصوصية التفاعلية Interactional Feature بخصوص الخطاب الثيولوجي في حوار الأديان والثقافات، لتؤخذ بعين الاعتبار في البحث أو المناقشات المستقبلية وفي الحلقات التدريبية من قبل المهتمين بالحوار عبر الثقافات والأديان:

تتمثل الأسئلة التي تحتاج إلى أن تناقش من قبل الخبراء فيما يلي:

١. ماذا عن الشروط الصارمة اللازم توافرها في الخوض في مثل هذا النوع من الخطاب الثيولوجي لإيجاد أرضية مشتركة لوقف سلبيات الخطاب السجالي (المستوى أ)؟

---

(١) حوار مع د. محمد سليم العوا، أجراه حسن عبد الله، مجلة نصف الدنيا العدد ٧٧٧، ٢ من يناير ٢٠٠٥م.

٢. ماذا عن تلك الشروط اللازم توافرها لترشيد طبيعة التفاعلات على الصعيدين الأكاديمي والدعوي الذي ينطلق من خلفية القانون الدولي (في حق المعرفة The Right to Know) وفي أنشطة الدعاة من خلفية البعد الدعوي للأديان؟

٣. إذا كان من المهم تقسيم الخطاب الديني إلى (خطاب ديني خاص) أو مغلق يتعلق بخصوصية كل دين، وخطاب ديني مفتوح؛ أي يتعلق بنظرة هذا الدين أو ذاك للآخر وللعلاقة معه[١]... فكيف نتعامل مع هذا التقسيم في ظل الحملات الدعائية الجائرة ضد الإسلام في الغرب بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، وخوض الخائضين في الخطاب الخاص أو المغلق للدين الإسلامي، وهو الأمر الذي يفتح مجال الحوار الثيولوجي البحت على مصراعيه؟

٤. كيف نعالج المصاحبة التعميمية لتعبير (حوار الأديان) ليكون مرادفاً للخوض في البعد الثيولوجي البحت فقط[٢]... وليس التفاعل بين أصحاب الأديان، لعلاج موضوعات ومشاكل مشتركة تخص كل البشر؛ كمكافحة الفقر وكالسلام العادل ومعالجة المرض ومشاكل البيئة إلى آخره؟

- **حالتان تفاعليتان:**

الحالة # ١:

في أحد لقاءات حوار الثقافات لا الأديان، سأل أحد الحاضرين

---

(١) راجع لكاتب السطور: الخطاب الديني المؤسس في مصر: الآليات والتوجيهات [قراءة لخطابات شيخ الأزهر والبابا والمفتي - مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، الأهرام ١٩٩٥].

(٢) راجع وقائع مقابلة مع واحد من أبرز الفقهاء المصريين وهو د. محمد رأفت عثمان، وجاء عنوانها "لا لحوار الأديان، والإسلام ضد صدام الحضارات"، الأهرام الرياضي ٨/ ١١/ ٢٠٠٤م.

المحاضرَ الذي تحفظ على فتح الحوار الديني/الديني على مصراعيه وكان السائل من الواقع الغربي ومن ذوي الخلفيات والتخصص الديني: "هل أنت بتحفظك على بعد الحوار الديني/الديني الثيولوجي تدعو حقّاً لحرية وانفتاح الحوار أم أنك بالفعل مقيّد ومصادر للحوار بهذا التحفظ"؟

فأجاب المحاضر بأن التحفظ ليس -ولا يمكن أن يكون- على الحوار الديني/الديني على الإطلاق، ولكن ما يتحفظ عليه هو ذلك الحوار الذي يتم دون الشروط المناسبة من مثل العلم الكافي وألا ينقل الحوار من هذا النوع بين العامة وإلى الإعلام عن طريق غير المؤهلين لهذا؛ وهنا قد يتسببون في أجواء من التشاحن والبغضاء والفتن، من هنا فإن التحفظات والشروط هي فقط من أجل منع إيجاد أجواء التناحر أو السجال الديني فقط؛ أي أن نضع القيد المانع لاحتمال حدوث (الفوضى) التي قد تنشأ من خلال ممارسة هذا النوع. وأضاف المحاضر: فمثلاً ممارسة الفكر التبشيري في الحوار مع عامة الناس في دولة إسلامية يعتبر لدى المسلمين حالة من العداء والعدوان... ولكن الحوار المنضبط بهدف التعرف والمعرفة لا غبار عليه...

فمثلاً؛ إذا تطرق الحديث لكتاب مثل كتاب المفكر الأمريكي الشهير مايكل هارت - وهو عالم متخصص في الرياضيات والقانون - بعنوان "المئة: قائمة بأكثر الشخصيات تأثيراً في التاريخ"[(١)]؛ حيث تمت مناقشة الكاتب كما يحدث اليوم في أسباب وضعه للرسول محمد ﷺ الرقم (١) على قائمة أكثر عظماء التاريخ تأثيراً في تاريخ البشرية، وهو الأمر الذي فتح النقاش فيه مايكل هارت نفسه - وهو أستاذ أمريكي معروف مسيحي كاثوليكي- وطالب كل من لديه آراء مخالفة أن يتقدم له بها، وكذلك

(١) Hart, M; H., The 100: Aranking of the most influential persons in History. N. Y, Kensington. Publishing 1978.

طالبَ كل من لديه شخصيات لم ترد في قائمة المئة شخص التي وضعها، وقد وضع رسول الإسلام ﷺ رقم (١) في القائمة لأسباب موضوعية تتعلق بمعايير ما يعرف في علم الإدارة بمعايير وسمات "القائد المغير لآفاق الأوضاع على نحو إيجابي" "Transformational Leader"، وقد غيَّر هذه القائمة على مدى السنين طبقاً لما يأتي إليه من بيانات مستجدة ممن يحاورونه، وفي كل سنة يحدِّث كتابه الشهير هذا ويغير مواقع كثيرين بعد النقاش معهم، إلا أنه لا يزال يضع الرسول محمداً ﷺ على قمة القائمة (رقم ١).

ولقد رصد الباحث المصري د.علي الزهيري مثل هذه النقاشات الدائرة حول هذا الموضوع في الغرب في إطار رسالة للدكتوراه (من جامعة هوارد الأمريكية) عن السمات القيادية لشخص الرسول محمد ﷺ[١]... فهذا الحوار وإن دخل في دائرة علوم الإدارة وعلوم الاجتماع وصناعة القرارات إلا أن بُعد الحوار الديني/الديني يظل عالياً ومرتفع الوتيرة للغاية، ولكن في إطار المعرفة الموضوعية، فلمَ لا...؟! فهكذا كانت مثلاً مناقشة رسالة دكتوراه في أروقة جامعة هوارد، وهنا أقر الجميع في تلك المحاضرة أن الحوار الديني/الديني ما دام يدخل في إطار المعرفة الموضوعية ومبدأ القانون الدولي "في حق الآخر لأن يعرف (في أي مجال)"... فلا بأس. من هنا قد لا يكون من العملي أن نسمع من يقول: "لا للحوار الديني/الديني على الإطلاق!"؛ لأن في ذلك تعسفاً وانغلاقاً، ولكن نعم لترشيد الحوار وضبطه بما لا يسبب المشاكل والفتن... ولا للوصول بهذا النوع من الحوار الذي يحتاج إلى علماء من

(١) للتفاصيل راجع أطروحة علي الزهيري بالإنجليزية:

Zohery, Ali, Thematic Analysis of Values in The public Communication of Prophet Muhammad, Adissertation, Howard University, Washington D.C. 2004.

المتدينين من أصحاب الديانات المختلفة، لا لوصوله إلى مستوى الدهماء أو الجهلاء أو مثيري الشغب والفتن في أي مكان في العالم.

الحالة التفاعلية # ٢ عن الحوار الديني/الديني:

في أثناء زيارة لي إلى ألمانية للمشاركة في فعاليات عن حوار الثقافات والأديان مؤخراً (تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٤) سلمني أحد الباحثين الألمان مقالاً نُشر في صحيفة فرانكفورتر الجامين في ١٥/ ٥/ ٢٠٠٤م[١] الألمانية، ودار حول محتواه حوار بيني وبينه من عدة أوجه، وكان جوهر هذا المقال عن موضع "الحوار الديني/الديني الثيولوجي"، وكان كاتب المقال يتحفظ على هذا الحوار - وأحسبه محقّاً - إن اتسم التفاعل بالعدوانية أو الاستعلاء من أحد أطراف الحوار، ولكن المقال كان مليئاً أيضاً بالأخطاء والادّعاءات غير الصحيحة، والافتعال من جانب كاتبه - مع الأسف - في أجزاء ليس الدخول فيها موضوعنا هنا... ولكن ما تمخض عن إثارة موضوع هذا المقال هو أنني أشرت إلى خطورة ما يشبه مطالبة الآخرين في العالم الإسلامي بموقف دفاعي اعتذاري في الوقت الذي تمارس فيه آلة الإعلام الغربي أسوأ الصور الممنهجة لاغتيال الشخصية العربية الإسلامية، كما توجد كثير من الممارسات التي تأثرت بهذه الصور السلبية في أفعالها وردود أفعالها من الجاليات المسلمة، الأمر الذي تنبه إليه كل المنصفين في العالم، ولا أبلغ من ذلك دعوة كوفي عنان التحذيرية المتكررة، من خطورة ربط الإرهاب بالإسلام (وكانت آخر هذه النداءات في شباط/ فبراير ٢٠٠٤).

وهنا، وعندما سُئلت عن اقتراحاتي لهم للمشاركة في إيقاف الحملة الجائرة ضد الإسلام، قلت لهم: إنه على سبيل المثال لا الحصر، قام

(١) Goerlach, Alexander, Die neve Weltunterordung # 113, 15.05.2004, seite 45.

المجلس البريطاني الإسلامي في لندن مؤخراً بطبع ونشر كتب تصحح الأخطاء والصور السلبية الجائرة ضد الإسلام والمسلمين، وحظيت هذه الفكرة هناك بتجاوب العديد في بريطانية، وتعاطفهم معها كجزء من تصحيح الأخطاء وخلق الأجواء الإيجابية للتفاعل الإنساني الخلاق، فكان ردُّ هذا الباحث الهولندي: "أنت تريد أن تنشر الإسلام إذن؟!... والمقال موضوع المناقشة وغيره من مقالات أخرى كانت تهاجم الأزهر لإرساله دعاة إلى ألمانية خاصة من كلية اللغات، وهذا الأمر من الأمور ذات الحساسية"!! فكانت إجابتي هي أن بألمانية عدة ملايين من المسلمين وتوعيتهم بجوهر الدين الإسلامي الحنيف هو في مصلحة ألمانية وغيرها، وأن الموفدين من الأزهر يلتزمون أشد الالتزام بالابتعاد عن أي أمور حساسة، وأن الإسلام والمسلمين ليسوا بحاجة إلى من يدخلون في الدين الإسلامي، ولكن إذا جاء إليهم من يسألهم ليعرف ويناقشهم فإنهم يناقشونه، ففي هذا الحد الأدنى من الحرية المسؤولة والكرامة الإنسانية التي تسمح بالحوار المنفتح الذي تُراعَى فيه كل أساليب الكياسة والاحترام المتبادل ومراعاة شعور الآخرين وعقائدهم، وأن الإسلام أحرص ما يكون على تأكيد هذه القيم.

وهنا أشرت أيضاً إلى كلمة متميزة ألقاها أسقف كانتري بيري في زيارته للأزهر حيث استُقبل بحفاوة كبيرة، وهي كلمة تعبر عن جوهر ما تثيره هذه الحالة التفاعلية، حين قال: تحت عنوان (الانفتاح لا الانغلاق): "إن هناك تقديراً عميقاً للدور الذي يمكن أن يؤديه الإسلام لبريطانية في المستقبل... وإن التسامح الحقيقي يتحقق من خلال اللقاء والانفتاح؛ وبه تختفي العداوات المبنية على التخويف الزائد... ولكي ننجح في هذا فإنه علينا أن نواجه المشكلة الأساسية التي تقف عثرة في طريق هذا الانفتاح. والواقع أن الإسلام والمسيحية ديانتان لهما رسالة

يؤدّيانها، فكلاهما يطرح فرضيات مطلقة؛ وكلاهما لديه الرغبة القوية في نشر دينه، وهذا جزء لا يتجزأ من دياناتنا، وهي حقيقة لا تتطلب الاعتذار عنها أو إنكارها، فقد أمر القرآن الكريم المسلمين بهذا في الآية ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢/١٤٣]، تماماً كما أمر الكتاب المقدس المسيحيين قائلاً: "اذهبوا إلى جميع الأمم وبشروهم بكلمة الله".

ويضيف أسقف كانتري بيري قائلاً: "هل يمكن للذين يخلصون الإيمان بقلوبهم ويؤمنون بأنَّ دينهم هو عقيدة ذات رسالة تدعو للحقيقة والقداسة، أن يدخلوا في حوار؟" وأجيب: نعم، من الممكن ما دام لدينا الاستعداد لسماع الآخرين وما دمنا ملتزمين بالسلام والرغبة في الفهم. وكما يعلم كثيرون في هذا المقام: إنني متمسك لأقصى الحدود بمعتقداتي كمسيحي، ولكن لا يقلل هذا من استعدادي للسماع والتعلم والتزود، ولكن من الضروري بالنسبة إلينا أن ندرك أن الطريقة التي نتعصب بها، لها انعكاساتها على عقائد الآخرين. فأي من دياناتنا لا يأمرنا بنشر دعوتنا عن طريق الكبر والخداع واللامسؤولية. ولكن هل لدى دياناتنا الاستعداد الصادق لتنمية هذا الانفتاح؟ هل نسعى نحو منح عقائد الآخرين الحقوق نفسها التي نمنحها لعقيدتنا؟ فهذه المسألة أصبحت تتطلب الإجابة في جميع أنحاء العالم. فالأقليات المسلمة في الغرب تطالب بحقها في ممارسة شعائر عقيدتها بحرية؛ وأن يكون لها الحق في بناء المساجد وتنشئة أطفالها طبقاً لتعاليم الإسلام، وبالمثل تصلني نداءات من الأقليات المسيحية في أجزاء عديدة من العالم تطالب بحريتها الكاملة، وأعتقد أن مصر بتقاليدها العريقة التي تعود لقرون طويلة من الترحاب والتعايش المشترك بين الكنيسة القبطية القديمة وجيرانها من الأغلبية المسلمة تضرب مثلاً مثيراً للإعجاب وجديراً بالأخذ في الاعتبار".. ويقول كذلك:

"فهذا النوع من الانفتاح ينبغي أن يكون نموذجاً يُحتذى به في أجزاء عدة من العالم. على الرغم من التهديد المستمر له بكل أسف من جانب هؤلاء الذين يجنحون لسبب ما إلى الانغلاق"(١).

خلاصة ما يمكن قوله في إطار هذا الخطاب الديني/الديني الثيولوجي هو أن الأرضية المشتركة بخصوصه تتمثل في:

١. التحذير من الخوف الزائد من الحوار الديني.

٢. عدم المنع أو التحفظ على الحوار الديني/الديني بصورة إطلاقية كما ذهب إلى ذلك بعضهم، بل الترشيد والابتعاد عن التعصب والانغلاق، والتحلي بالصبر والخلق الطيب وعدم الاستعلاء، ففي هذا صمام الأمان، وفي إطار هذه الصفات يتأسس جوهر الأرضية المشتركة ذات المستوى الأعلى.

٣. إن الأرضية المشتركة القائمة في الجامعات ذات الطابع الديني قوية ومستقرة منذ مئات السنين كما في الأزهر الشريف، ويشاركه في هذا المناخ عشرات بل مئات أقسام الديانات المقارنة في مئات الجامعات عبر العالم كله... وهي معروفة، وتتمثل في صلب الأخلاق الدينية الأساسية في الأديان كافة، وفي البحث العلمي الصارم والمنضبط والمبني على اكتشاف الحقائق الموضوعية بالأدلة والبراهين العلمية، فلا داعيَ للمبالغات في التحفظ السلبي على هذا البعد الحيوي للأديان وللشعوب.

---

(١) راجع النص الكامل للمحاضرة التي ألقاها جورج ليونارد كاري، كبير أساقفة كانتري بيري، رئيس الكنيسة الإنجيلية في بريطانية في زيارته للأزهر الشريف في ١٤١٦هـ، ١٩٩٦، وجاءت بعنوان: (التحديات التي تواجه الحوار الإسلامي المسيحي) بالإنجليزية، وترجمت إلى العربية..

إن من أهم الأسئلة التدريبية التي نختتم بها حديثنا حول هذا البعد من خطابات الخريطة الذهنية تتمثل في السؤال التالي:

- ماذا عن أهمية الخوض التقني في أفعال القول (Speech Acts) التالية وتوضيحها؛ والمرتبطة بمستويات هذا الخطاب في عمليات الحوار والتفاوض (مع التمثيل بأمثلة وحالات تفاعلية تحتاج إلى التقويم والتقييم...) مثل:
- ماذا عن دراسة عمليات الإقناع Persuasive Processes؟ وكيف نفصل بين فعل الإقناع وفعل (غسيل المخ) Indoctrination؟
- ماذا عن فعل (نشر الدعوة) Probagation؟ وماذا عن فعل (التبشير والوعظ) Proselytizing؟
- ماذا عن التحول من دين إلى آخر Converting؟ وماذا عن مفهوم التكامل Perfecting؟
- ماذا عن مفهوم تعديل السلوك Behavior Modification؟ وماذا عن مفهوم الحصول على المعلومة الصحيحة (Information getting)؟ وماذا عن قيم الحوار الإيجابي المتعلقة بالأسئلة أعلاه؟

ثانياً- خطاب (كمائن حوارات الأديان) ومسألة الأجندة المتخفية في الحوار عبر الثقافات

وهو ما أسميه بالإنجليزية بـ:

Discourse of religions dialogue ambushes & traps and the issue of "the hidden agenda".

في أكثر من حوار لي في واقعنا الثقافي العربي الإسلامي مع مثقفين لهم وزنهم المعروف؛ وجدت فكرة خطاب الكمائن واضحة للغاية؛ حيث

يتم تشبيه (حوارات الثقافات) و (الحضارات والأديان) وكأنها (المجال للإيقاع بنا) حيث قال أحدهم: "أنا لا أعرف ما المقصود بمثل هذه الحوارات غير أنها ستؤدي إلى كارثة (واحنا فرحانين بيها!!..). وقال آخر: "الهدف هو تصفيتنا من خلال هذه الحوارات... واستغلال بسطاء من ذوي النية الحسنة... ليروجوا لها..." وكان من أكثر المقالات تعبيراً عن وجهة النظر هذه من بنك بيانات هذه الدراسة مقال للأستاذ صلاح الدين حافظ كتبه منذ فترة طويلة، وجاء عنوانه متضمناً لكلمة "الكمائن"[١] بشكل مباشر... وليس بالطبع هذا هو المقال الوحيد؛ بل هناك العديد من الآراء والتصريحات لمثقفين وباحثين تعبر عن هذا المعنى، ولقد رصد العديد من الباحثين المعنيين بحوار الحضارات والثقافات والأديان هذا الرأي في التصنيف العام لدراسات عديدة نشرها برنامج حوار الحضارات بجامعة القاهرة التي صنفت الخطابات (العربية والغربية) على فئتين في سياق دراسات بعينها، وهي خطابات ترى جدوى للحوار، وخطابات لا ترى أي جدوى ورافضة للحوار[٢]. وهناك من صنَّف الخطابات إلى (ليبرالية) إسلامية ويسارية عربية[٣]، وتضمن في تصنيفه الآراء الرافضة والمؤيدة وحجج كل طرف.

وإذا كان خطاب (الكمائن) هذا يولد أسئلة بعينها للتأمل والاعتبار في مناقشة حوار الحضارات والأديان والثقافات؛ وفي واقع الممارسة؛ وفي حلقات التدريب على الحوار والتفاوض بشكل عام في السياقات كافة،

---

(١) راجع مقال أ. صلاح الدين حافظ بعنوان (حوار الأديان... وكمائن المؤتمرات!) ٧/ ١٢/ ٩٤ الأهرام.

(٢) راجع كتاب خطابات عربية وغربية في حوار الحضارات، سلسلة محاضرات حوار الحضارات، جامعة القاهرة - برنامج حوار الحضارات، بالاشتراك مع دار السلام ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

(٣) المرجع السابق، بحث للسيد ياسين بعنوان (تقييم تجارب حوار الحضارات).

فإن هذه الأسئلة تتعلق بنظرية المؤامرة وتأثيراتها في الحوار والتفاوض عموماً؛ وحوار الثقافات والأديان خاصة، وهو الأمر الذي شرعت في كتابة دراسة تفصيلية عنه منذ فترة، ولم أنته منها بعد[(١)]، ولكن من المهم رصد أهم هذه الأسئلة هنا وهي:

١. ما سمات خطابات نظرية المؤامرة من البعد اللغوي الاجتماعي السياسي داخل الثقافات وعبرها؟

٢. إلى أي مدى يكتشف المتحاورون أو المتفاوضون للسمات الوهمية (لمؤامرات) لا أساس لوجودها من الصحة، وإلى أي مدى يثبتون بالدليل الحاسم والقاطع وجود مثل هذه المؤامرات؟

٣. ماذا عن مفهوم (الفلتر التفاعلي) Interactional Filter وكيف يؤثر - سلباً أم ايجاباً - في فهم ما يطرح في الحوار والتفاوض على حقيقته دون فرض ما لا ينطبق عليه؟ وماذا عن الحالة النفسية للمتحدث أو المتفاوض المسيطرة على آرائه؟ وما السبيل إلى استدراك أخطاء (التآمر الوهمي) السلبية للغاية. وكذلك التعامل مع (المؤامرة) بعد ثبوت الدليل الحاسم عليها؟

أما فيما يتعلق بجزئية أفعال القول الخاصة وأسئلتها بهذا الخطاب فهي عديدة وتحتاج إلى تفاصيل، ولكن نذكر أهمها فيما يلي:

كيف ينبغي أن يتعامل المتفاوضون مع أفعال القول والظواهر التالية التي قد تحدث في عمليات التفاوض وهي:

---

(١) نظرية المؤامرة وشخصية المفاوض وسمات الحوار، دراسة لأشهر الشخصيات والأحداث الدولية من منظور لغويات التفاوض وإدارة الأزمات، دراسة في طور النشر لكاتب السطور.

- ماذا عن التعامل مع استراتيجيات (الخداع).
- ماذا عن ترسيخ مبدأ كشف الأوراق التفاعلية Disclosure ؟
- ماذا عن مفهوم التفاوض على أساس المصالح المشتركة Interest - Based Negotiation؟

ثالثاً – خطاب وسيناريوهات المعلومات الناقصة وإشكالية (مربعات التفاوض السلبي الخاصة بهذا المستوى من الخريطة الذهنية)

هناك فجوتان تحتاجان منا في العالم العربي الإسلامي خاصة إلى التعامل الإيجابي معهما، وهما: (١) فجوة الإدارة Management Gap، (٢) فجوة المعلومات Information Gap، والأخيرة تتطلب التعامل الإيجابي معها في كل من العالم العربي الإسلامي وفي الغرب بشكل من التعاون البناء؛ لأنها لا تزال فجوة حقيقية في العالم كله بمستويات متعددة.

إن الحديث عن فجوة المعلومات (في هذا العصر يبدو مستغرباً) بعض الشيء من قبل بعضهم، وذلك لأن مصطلح (فجوة المعلومات) ارتبط ويرتبط عادة (بنقص المعلومات)، وفي عصر قد سمي بـ (بعصر المعلومات) Information Age واتسم (بالانفجار المعلوماتي) (Information Explosion) أو بـ (الجلطة المعلوماتية) (Infoglut) يجعل المرء يقول بأن (نقص المعلومات) قد أصبح شيئاً من الماضي... ومن ثمّ فلا يوجد ما نطلق عليه (فجوة المعلومات)؛ ولكن هذا الجزء من الدراسة يُعنى بتوضيح أهم مصطلحات عصر المعلومات، والصعوبات التي تأتي بها تلك المصطلحات فيما يتعلق بعمليات التفاوض والحوار؛ وذلك من منظور علم اللغويات خاصة؛ الذي يُعد من أهم العلوم الحديثة التي تعاملت مع مفهوم المعلومات والمعلوماتية (Informatics)؛ ولعل دراسات

عالم اللغويات والناشط السياسي المعروف نعوم تشومسكي هي من أهم الدراسات ذات العلاقة بالمعلوماتية واللغة والعمليات العقلية/ الذهنية[١]، كذلك هناك كتاب نعده من الكلاسيكيات في علم اللغويات وهو بعنوان (المعلومات وعلوم اللغة)[٢] ولعل من المهم أن نركز هنا على أهم المصطلحات الرئيسية ذات العلاقة المباشرة بدراستنا، وهي كما يلي:

١. المعلومات Information والمعلوماتية Informatics والبيانات Data.

٢. المعلومات والمعلومة الناقصة Information Missing/Lacking.

٣. المعلومات والمعلومات الخاطئة Misinformation.

٤. المعلومات والمعلومات المضللة Disinformation.

٥. المعلومات والدعاية Propaganda.

وفيما يلي التعريفات الفارقة بين المستويات الخمسة المذكورة أعلاه:

- **١. المعلومات والبيانات والمعلوماتية**

يعرف قاموس أكسفورد مفهوم المعلومات كاسم (Noun) (Information) بأنها "المعرفة المتداولة بخصوص حقيقة ما، أو موضوع أو حدث ما"[٣]. ومفهوم المعلومات يختلف عن مفهوم البيانات Data؛ فمثلاً (٨ مليون) و (٩٪) مجرد بيانات، أمّا المعلومة فهي: "إن تعداد

---

(١) راجع على سبيل المثال لا الحصر:
Chomsky, Noam, Language and Mind, New York: Karcourt Brace 1972.

(٢) راجع:
Freeman, Robert & Aljred pietrzyk: Information & Language Sciences, proceedings of the conference sponsored by the center for applied linguistics 1966, American Elsevier publishing company, Inc. NY 1968.

(٣) قاموس أكسفورد، الطبعة الثانية ١٩٨٩.

المدينة (أ) في عام ٢٠٠٠ قد وصل إلى ٨ ملايين نسمة أي إن نمواً حدث بمقدار ٩٪ منذ التسعينيات".

أما المعلوماتية فهي "تصنيع المعلومات بحيث تصبح سلعة قابلة للبيع..".

والمعلومات قد تكون سهلة ومفهومة؛ وقد تكون معقدة وغير مفهومة؛ ويتوقف ذلك على خلفيتنا وعلمنا بالموضوع وسياقه.

- ٢. المعلومات الناقصة Information Missing

أي أن تكون المعلومات ناقصة.. أي أن تكون الأجزاء المذكورة في سياقها صحيحة ولكنها ناقصة بشكل أو بآخر.

- ٣. المعلومات الخاطئة "Misinformation"

وهي تداول مقولات غير صحيحة... أي أن أذكر لك مثلاً مصطلحاً وأعرفه بطريقة خاطئة بعيداً عن أصله العلمي أو أذكر لك حدثاً بعيداً عن الصحة في نقله.

- ٤. أما المعلومات المضللة Disinformation

فهي تختلف عن المعلومات الخاطئة في أن كليهما يتضمن الخطأ أو عدم الصحة في النقل أو الوصف الدقيق؛ ولكن الفرق أن المعلومات الخاطئة إذا ما حدثت فتكون بلا قصد أو نية للتحريف، أما المعلومات المضللة فهي تلك التي يستخدم فيها طرف ما المعلومات بطريقة متعمدة لإخفاء حقائق وإظهار أو افتعال أخرى بقصد الإخفاء والتمويه والتضليل.

- ٥. الدعاية Propaganda

هي استخدام المعلومات بغرض إظهار زاوية معينة من الطرح، ولها أساليب عديدة لتلوين الكلام والتلاعب به Manipulation، ومفهوم الدعاية

قد يكون معتمداً على الكذب، وقد يكون قائماً على التركيز على حقائق بعينها وترك حقائق أخرى ذات علاقة بالأمر؛ ومن ثمَّ فهي الأقرب لمفهوم المعلومات الناقصة أحياناً والمضللة أحياناً أخرى، ولكنها ضد مفهوم المعلومات الصحيحة "Correct Information". وسوف نتناول بالتفصيل أمر الدعاية والمعلومات المضللة في المستوى الرابع من خطابات الخريطة الذهنية لهذه الدراسة، وسنركز هنا على المعلومات الناقصة والخاطئة.

حالات تفاعلية بخصوص مفاهيم خطاب المعلومات الناقصة والخاطئة:

ما أكثر الأمثلة في التفاعل، سواء كان في العالم العربي الإسلامي أم في الغرب على السواء، على وجود حالات حوارية تفاوضية كان سبب فشلها وإخفاق الأطراف المتفاوضة فيها وجود إما معلومات ناقصة أو معلومات خاطئة؛ وهنا يكون مبدأ "حسن الظن" هو المبدأ الغالب أو المفترض؛ ولعل من المهم تقديم أمثلة لحالات المعلومات الناقصة أو الخاطئة التي تحققت نفسي من أنها كذلك، وذلك فيما يلي:

- ١. حالة التفاعل مع أستاذ أمريكي

في سياق النقاش حول الحوار عبر الثقافات، قال لي أستاذ جامعي أمريكي...: "المشكلة في العالم الإسلامي أنه عندما يطرح المسلمون رأياً، فإنهم يتوقعون أن تقول بعده آمين...، فقلت له: هذه معلومة خاطئة لا يمكن أن تعمم هكذا، وذكرت له الآية القرآنية الكريمة ".

- ٢. حالة ذكرها محمد مارمادوك بكتال

كتب المستشرق المسلم الذي قدم ترجمة لمعاني القرآن الكريم مثالاً مهماً في دراسته القيمة التي كتبها عام ١٩٢٧ نستشهد به للتدليل على كارثة المعلومات الخاطئة/ الناقصة، والمضللة معاً؛ حيث يقول:

"لو كانت حقائق الإسلام معروفة دون تزييف ومعلومات خاطئة لما أمكن تعبئة الشعب المسيحي ليخوض الحروب الصليبية التي حدثت في القرن الثاني عشر"، ويذكر كيف أن شيوع ترادف كلمات المسلمين، الوثنيين، عبدة الآلهة والمحمديين (Opolane & God Mohammadans) قد ترسخ في أذهان الغربيين تماماً وإلى الحد الذي دفع الإمبراطور تشارلز، الذي دخل مدينة سارجوسا، أن يأمر قواته بعد تغلبه على المسلمين بقوله: "ابحثوا في كل مسجد، وأحضروا تمثال محمد وكل تماثيل الآلهة التي يعبدها المسلمون، وحطموها بالمطارق الحديدية"[١].

- ٣. حالات من الواقع العربي الإسلامي عن الدور السلبي للمعلومات الخاطئة والناقصة في الحياة العلمية والإنسانية وفي حوار الحضارات والثقافات.

٣-١ التعريف الجائر للمصطلحات العلمية بوصفها إحدى معضلات حوار الثقافات!!

عندما صرح الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان مؤخراً بأنه على العالم أن يتكاتف لوقف الحملة الجائرة على الإسلام والمسلمين، علم كثيرون أن هناك العديد من أصحاب العقول المنصفة في هذا العالم ممن يرون حقيقة التزييف والترويج الخاطئ والناقص والمضلل للمعلومات، عن ثقافة العرب والمسلمين التي تتعرض لحملات ممنهجة وجائرة بلا أدنى شك.. ولكي نساعد أنفسنا وننظم صفوفنا للتصدي العلمي والمنهجي لهذه الحملات الجائرة فلابد من أن نتحلى بأداء تفاوضي مرتفع وعلمي في المقام الأول، فلقد وجدت من خلال كثير من التفاعلات الدولية أن

(١) راجع مقال بكتال، محمد مارمادوك، (التسامح في الإسلام) مع مقدمة للدكتور زاهور حق عام ١٩٧٧، منشورة على شبكة المعلومات على الموقع التالي: http://www.cyberistan.org .

حجتنا عندما تتسم بالتحليل العلمي الصارم، المنطلق من القواعد المقصدية للدين الحنيف؛ تكون موضع الاحترام والتقدير الكبير من الحاضرين، وتصحح كثيراً من الأوضاع الخاطئة التي نعاني منها في ظل الحملات الجائرة المكثفة التي يمكننا التعامل معها بإيجابية ودون يأس لإحقاق الحق. من هنا ألتقط حالة تفاعلية مهمة دارت في خضم تفاعلات حول مفهوم حوار الحضارات في طرح أحد كبار مثقفينا، ممن نكن لشخصهم الكريم الاحترام، حيث يذكر:

"... وكان من آثار هذا النموذج الغربي الحديث (صراع الحضارات) محاولةُ القضاء على الثقافات الوطنية، واللغات المحلية باسم التثاقف أو المثاقفة (Acculturation)، وتعني في الظاهر التحديث والتمدن والتفاعل الثقافي، والحوار المتبادل والأخذ والعطاء، وفي الحقيقة تعني التغريب، وانتشار ثقافة المركز على ثقافة الأطراف... إلخ"[1].

وقبل ممارسة النقد الإيجابي للطرح أعلاه لابد من التنويه بالجهود المتميزة والمكثفة والمطلوبة إلى أبعد الحدود التي يقوم بها أعضاء هذا البرنامج المتميز بجامعة القاهرة العريقة.

المشكلة الرئيسية في الطرح أعلاه هي أن كاتبه كان يمكن له أن يثبته بسهولة من واقع تفاعلات كثيرة يراها الجميع اليوم دون الحديث عن مفاهيم علمية خاطئة وتحت مفهوم مثل مفهوم (الإحلال الثقافي مثلاً Cultural Displacement) أو في إطار مفهوم الهيمنة الثقافية Hedgamony Cultural؛ ولكن دون أن يتم الزج بمصطلح علمي (كالتثاقف) -كما هو في النص أعلاه- وتعريفه تعريفاً خاطئاً تماماً عن معناه العلمي الواضح والصارم والمفيد جداً لنا وللعالم أجمع الذي لا علاقة له مطلقاً (بالمركز

(١) راجع حنفي، حسن: (خطابات عربية وغربية في حوار الحضارات) الناشر، جامعة القاهرة - برنامج حوار الحضارات ٢٠٠٤، (ص٦٢).

والهامش) و (القضاء على الثقافات الوطنية) إلى آخر هذه (التعبيرات الدرامية) للغاية..

فمصطلح (التثاقف) جاء من رحم التفاعلات العلمية الصارمة لعلماء اللغويات التطبيقية واللغويات الذهنية "Cognitive Linguistics"وساهم في تطويره وطرحه عدد من خبراء علم اللغويات من ذوي الكفاءة العلمية العالية جداً؛ الذين لم يقحموا أي بعد سياسي في عملهم في هذا الموضوع.

ومن المهم شرح المقصود فنقول: إن مفهوم (التثاقف) يعني أساساً أربع مراحل يمر بها متعلم اللغة والثقافة الهدف؛ أياً كانت هذه اللغة أو هذه الثقافة..

فالصيني الذي يتعلم الفرنسية يمر بهذه المراحل، مثله في ذلك مثل الروسي أو العربي أو الأمريكي أو سمه ما شئت؛ عندما يتعلم أي لغة وثقافة أخرى... وهذه المراحل هي:

١. مرحلة التعرض الأولى للغة وثقافة جديدة، حيث يقوم المتعلم بنوع من التقريب والمقارنة بين نظامه اللغوي ونظامه الثقافي الأصلي واللغة والثقافة التي يريد أن يتعلمها (أي يكون بصدد إيجاد نظام زمني تقريبي مقارن Approximate System).

٢. يحدث من جراء هذه التفاعلات اللغوية والثقافية بين نظام لغتين وثقافتين وصول المتحدث إلى مرحلة لغة هجين بين لغته وثقافته الأم، واللغة والثقافة المستهدفة (الهجين) و (تحليل الأخطاء).. لتحسين مستواه.

٣. قد يظل متعلم اللغة والثقافة المستهدفة في مرحلة اللغة الهجين والأخطاء بمستويات متعددة؛ وهذه المرحلة إن لم يتخطها ويتحسن في أدائه تسمى بمرحلة (الجمود) "Frozen State" كما سماها بذلك عالم

اللغويات مارك كلارك، أو في مراحلها المتدهورة كما سماها لاري سيلينكر بمرحلة أصعب وهي "التحجر" "Fossilization"؛ فتظل لغة المتعلم لها سمات متحجرة من الأخطاء في القواعد وفهم آليات اللغة وفي عدم فهم الثقافة الأخرى كما هي في حقيقتها.

٤. قد ينطلق متعلم اللغة إلى مرحلة آفاق الأداء التفاعلي الرفيع فيتخطى مرحلة التجمد بسرعة، إن مر بها، وهذا ما تجده في مقال شامل بالإنجليزية عن المفهوم بعنوان (التثاقف والعقل الانساني) لكاتبه وليام اكتون في كتاب بعنوان عبور الفجوة الثقافية- لجويس ميرل، من إصدارات جامعة كمبريدج ١٩٨٦[١].

المشكلة العميقة التي أثارها لديَّ خطأ التعريف العلمي لمفهوم التثاقف من قبل مفكرنا - ولكل جواد كبوة - هو أن من أكثر المشاكل التي تعيق نجاحنا في حوار الثقافات والحضارات هو أنَّ الكم الأكبر من الذين يتحدثون اللغة الهدف والثقافة الهدف يندرجون أساساً في إطار المراحل الثلاث الأولى المذكورة في إطار مفهوم (التثاقف) أما الندرة النادرة فيمكن القول بوصولهم إلى المرحلة الرابعة، ولذلك ليس لدينا الكثير - مع كل الأسف - من أمثال إدوارد سعيد على سبيل المثال لا الحصر.

والمشكلة تكمن أيضاً ان فهمنا للتثاقف والإتقان الرفيع للغة المستهدفة وثقافتها لا يعني أبداً الذوبان، بل يعني في المقام الأول تحقيق قدرات مهارية عالية من أفعال القول التالية:

---

(١) للتفاصيل راجع:
Acton, William & deflix, Tudith "Acultureation & mind" in Culture Bound: Bridging the Cultural Gap in Launguage Teaching, Joycp Merill Valdes, Cambridge, university Press 1986.

١. قدرة المتفاعل على فهم معنى التقمص الإيجابي (Empathy)؛ أي أن يستطيع تصور زاوية الرؤية التي ينظر منها الطرف الآخر للأمور، ومن ثمَّ فهم الآخر بشكل أعمق.

٢. فهم دوافع الآخر الحقيقية بدقة.

٣. إدارة الاختلاف معه بشكل إيجابي بعيداً عن الاندهاش والاحتقان والتحدث من خلال مفاتيح إقناعية ثقافية ذات درجة وصول عالية للثقافة الأخرى وإتقانها لإحداث التأثير التفاوضي الإيجابي، من هنا يذهب كثير من شيوخنا الأجلاء والدبلوماسيين والإعلاميين من الباحثين إلى دول المشرق ودول المغرب من فئة المندرجين في إطار مستويات المراحل الثلاث الأولى في عملية التثاقف ذات الطبيعة التقنية في المقام الأول، فلا تحقق لغتهم وأسلوبهم كل الأهداف التي يبتغونها، أو قد يخفقون تماماً إلا من رحم ربي.. وهم مع الأسف من الندرة النادرة؛ فلعلنا نهتم بمفهوم (التثاقف) بمعناه ومستوياته التقنية المطلوب تحقيقها، فندربَ كل من يتفاعل باسم هذه الأمة ونعده الإعداد اللغوي الثقافي للوصول إلى المرحلة الرابعة للمفهوم (فهي مرحلة في الأداء التفاعلي تماثل (على سبيل التشبيه) الحصول على الإيزو الدولي في مجال المعايير الصناعية المتميزة).

فإذا أردنا أن نضع للمعايير المرحلة الرابعة من التثاقف فهي المتمثلة فيما ذكرناه أعلاه من معايير تحقيق أفعال القول الأربعة السابقة، ومن ثمَّ فلا ينبغي أن يكون لها أي علاقة بفكرة الذوبان في الثقافات الأخرى، لأن مفهوم الذوبان هو مفهوم آخر تماماً يكون عادة بقدر ما، ومن ثمَّ إذا درسنا حالات الأفراد الناجحين خارج بلادهم وثقافتهم لتعرفنا منهم على كيفية مرورهم بهذه المراحل الأربع وتفوقهم في المرحلة الرابعة المذكورة، ولوجدنا أن كل الشخصيات الفذة التي نسعد بها في تاريخنا القديم والحديث قد اجتازت تلك المرحلة الرابعة التي دائماً ما سنجدها

مسخرة تحت مفاهيم القيم العليا للثقافة الأم، فعلى سبيل المثال لا الحصر؛ نجد الكاتب والمفكر النيجيريَّ المعروف تشينواه اتثيبي يقول: "أنا أتحدث تلك الإنجليزية المؤثرة التي يفهمها تماماً كل من يسمعها في الغرب، ولكن يفهمون معها كذلك عمق الروح النيجيرية العالمية". لقد دافع كثير من المدافعين في تاريخنا الحديث عن أمتهم وعن ثقافاتهم بلغة رفيعة ومؤثرة وصلت - بلا شك - للمرحلة الرابعة للتثاقف؛ ولكنها كانت دائماً تحت سيطرة القيم الأعلى للثقافة وللغة الأم.. فماذا عن أداء مصطفى كامل في باريس؛ وماذا عن الأداء المتميز لحنان عشراوي في وسائل الإعلام الغربية؛ وماذا عن الأداء الفذ لإدوارد سعيد وهم يدافعون بمهارات عالية عن قضيتهم الفلسطينية؟ ولْنسأل أنفسنا سؤالاً مهماً هنا وهو: لماذا يدرس الغربيون (الأداء التفاوضي الرفيع) للناصر صلاح الدين الأيوبي كما تفيدنا بذلك عدد من الدراسات من أهمها (صلاح الدين وسقوط مملكة أورشليم)؟ ألسنا إذن بحاجة إلى توضيح القيمة العلمية البحتة والحيوية لنا لمفهوم التثاقف، وإظهار معناه الحقيقي المفتقد عندنا بدلاً من دمغه بأسلوب (المعلومات الخاطئة) تلك السمة التي أصبح العالم العربي الإسلامي والغرب معاً يعانون من تأثيراتها السلبية؟ ولذلك وجب تصحيح المعلومات الخاطئة الخاصة بمفهوم التثاقف الذي ينبغي معرفته على حقيقته لأنه يساعدنا كثيراً في تدريب فرقنا التدريب التقنيَّ اللائق بهذه الأمة العربية.

٣-٢ دور المعلومات الخاطئة والناقصة في غلق قنوات الحوار! [من الواقع الغربي إلى الواقع العربي الإسلامي]

تسهم المعلومات الخاطئة والناقصة، التي يتم تداولها في التواصل داخل الثقافات أو عبرها، بدور سلبي للغاية في إحداث تأثيرات سلبية على أي حوار وأي تفاوض، وخطورةُ مثل هذه المعلومات الناقصة تزداد

في إطار الظروف الراهنة ونحن نحاول الخوض الإيجابي في حوارات الثقافات والأديان والحضارات. وإذا كنا نشتكي كثيراً من الدور السلبي لهذه المعلومات الخاطئة والناقصة، فإن من المهم أن نستكمل مناقشة أهم الحالات الممثلة التي تخرج من واقعنا الثقافي؛ فهي بداية منطقية وضرورية، وهنا أود أن أتناول بالتحليل الموضوعي مقالاً لأحد المفكرين المعروفين في واقعنا الثقافي؛ الذي استدعى ما طرحه المداخلة الإيجابية. ولقد جاء المقال ضمن سلسلة مقالات له بعنوان (صورة الإسلام في الخطاب الغربي)[1]، والكاتب يخوض في موضوع على درجة كبيرة من الأهمية، ونحتاج إلى كل جهوده وجهود الآخرين ممن يقدمون للقارئ العربي الصورة الدقيقة التي تصف ما يحدث، وينتقلون إلى الحالة العملية اللازمة لترسيخ الفعل الإيجابي لتصحيح الصورة والأصل معاً، ولكن ينبغي أن تكون أولى خطواتنا جميعاً نحو هذا الهدف السامي هي تحري الدقة في الوصف، والتقيد بالرصد العلمي المنضبط، وبالقاعدة المقصدية الكبرى في الإسلام "بعدم بخسِ الناس أشياءهم".. ولتوضيح بُعد المعلومات الناقصة/ الخاطئة في طرح مقال د. عمارة نذكر أنه وبالرغم من أن كاتبه يعلن في بدايته أن "الغرب ليس واحداً" - فهو يتحدث بعد ذلك في أجزاء من المقال بصور من الإطلاقية ذات البعد المعلوماتي الناقص والخاطئ معاً فيقول: "... فإن هذا النفي الغربي للإسلام وحضارته له جذور عميقة في تصورات الثقافة الغربية عن الإسلام، وهذه الجذور الرافضة والنافية للآخر الإسلامي حية وفاعلة، بل ونامية حتى هذه اللحظات... ونجد ذلك في المشروع الكنسي الغربي الذي أعلن بلسان البروتستانت في مؤتمر كولورادو سنة ١٩٧٨م ضرورة اختراق الإسلام لتنصير كل المسلمين، كما أعلن هذا المشروع الكنسي بلسان الكاثوليك

(١) عمارة، محمد (صورة الإسلام في الخطاب الغربي) صوت الازهر ٢٩/ ١٠/ ٢٠٠٤.

ضرورة أن تصبح إفريقية نصرانية سنة ٢٠٠٠م، فلما خاب الرجاء غير الصالح أجلوا التاريخ إلى ٢٠٢٥م، وتعبر عن هذا المشروع الكنسي حتى فرنسة العلمانية بلسان رئيسها الأسبق فاليري جيسكار دي ستان عندما أعلن استحالة قبول تركية في الاتحاد الأوربي، لأنها مسلمة، والاتحاد الأوربي (نادي مسيحي).. أما لسان الغرب الأرثوذكس فلقد مارس هذا النفي للإسلام بالمجازر والمقابر الجماعية، على أرض البلقان والشيشان، كما تمارسه الصهيونية - وهي امتداد غربي - متحالفة مع الصليبية الغربية على أرض فلسطين.. بل إن كنائس الغرب التي خانت نصرانيتها تستحي عندما تعلن هذا النفي للإسلام حتى في المؤتمرات التي تحاور فيها رموز الإسلام في عقر دار المسلمين.. ففي مؤتمر الحوار الإسلامي/المسيحي الذي عُقد بالقاهرة بدعوة من المنتدى العالمي للحوار بجدة، ومؤتمر العالم الإسلامي والذي انعقدت جلساته في فندق شيراتون هليوبوليس في ٢٨، ٢٩ أكتوبر ٢٠٠١، رفض ممثل الفاتيكان نائب الأمين العام للمجلس البابوي للحوار بين الأديان القس خالد أكاش، وممثل مجلس الكنائس العالمي الدكتور طارق متري؛ رفضا التوقيع على البيان الختامي للمؤتمر، لأنه وضع الإسلام مع اليهودية والنصرانية تحت وصف الأديان السماوية الربانية وقالا: إن وصف الإسلام كدين سماوي ورباني لا يزال محل خلاف لم يحسم بعد... ولقد علق الدكتور يوسف القرضاوي - وكان مشاركاً مع شيخ الأزهر في هذا المؤتمر - على هذا الموقف فقال: إنني أستغرب من توجس بعض رجال الدين المسيحي من وصف الإسلام بالربانية والسماوية... وإذا كان الفاتيكان والكنائس العالمية لا تعترف بالإسلام كدين سماوي فلماذا نجتمع إذن؟... وإذا لم يقرر رجال الدين المسيحي والفاتيكان بأن الإسلام دين رباني، فلا داعي من اللقاء والحوار..." (من مقال د. محمد عمارة بعنوان صورة الإسلام في الخطاب الغربي- ٢٩/ ١٠/ ٢٠٠٤).

بالرغم من وجود كثير من الدلائل على هيمنة خطاب (الهيمنة الغربية) وسماته اللاحوارية في التعامل مع العالم العربي الإسلامي قديماً وحديثاً؛ وبالرغم من هيمنة نموذج (صدام الحضارات) وكل ما يتعلق به من أمثلة سنشير إلى أهمها في النمط التالي من أنماط الخريطة الذهنية لخطابات حوار الحضارات بهذه الدراسة تحت (خطاب وسيناريوهات العداء الصريح) (النمط الرابع)؛ إلا أن وجهة نظرنا في التركيز على تحليل خطاب د. عمارة بالأسلوب الإطلاقي دون النظر إلى باقي ما تطرحه الخريطة الذهنية للخطابات كلها ليبتعد بنا عن الحيدة العلمية وتبني الرؤية الاستراتيجية الكلية الضرورية لفهم الواقع والتعامل معه بما يحقق أجندة الحوار المثمر للجميع، أو كما قلنا يتيح لنا أن نحتفظ بهامش تقليل الخسائر أو احتواء السيناريو الأسوأ في أقل الحالات تفاؤلاً. من هنا نرصد الخلل المعلوماتي أي المعلومات الناقصة والخاطئة الواردة بالمثال؛ وكذلك نتطرق لأسلوب الحوار السلبي في جزئيات أخرى بغية تقويم الأداء التفاعلي في واقعنا الثقافي نحو الأهداف الاستراتيجية الأسمى لأمتنا في ظل هذه الاجواء (القتالية واللاحوارية) من قبل كثيرين..

أولاً - بخصوص الخلل المعلوماتي (أي تلك الناقصة والخاطئة في المعلومات المقدمة بالمقال) فإن الرصد المتفاني للكاتب لإثبات عدوانية الغرب وكل مجالس الكنائس وكل ألوان الطيف المسيحي الغربي الموجه ضد العالم الإسلامي "لتنصير كل المسلمين" على حد تعبير د. عمارة؛ لهو أمر مبالغ فيه وتناقضه وثائق عديدة ووقائع كثيرة في إطار ما عُرف على مدى العقود الثلاثة الماضية -خاصة- تحت مسمى (الحوار الإسلامي-المسيحي) وحتى يكون الكلام موثقاً أدعو الكاتب لقراءة وثائق على درجة من الأهمية، ومنها ما جاء من خلال كتاب أصدره الفاتيكان بعنوان (من أجل حوار إسلامي مسيحي) - وصدرت طبعته الأولى

بالعربية[١] عام ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م أي منذ أكثر من ٢١ سنة مضت- يطالب بصفحة جديدة للحوار، بعيداً عن سلبيات الماضي التي لا يذكرها.

ففي مقدمة الكتاب بقلم المحامي أ. فيصل طيارة يقول: "إن الكتاب المعبر عن رأي الفاتيكان - موجه إلى المسيحيين الذين يلتقون المسلمين ويتمنون العيش في حوار دائم ومفتوح معهم"[٢].. وإن من شرائط... سلامة الحوار وجديته وفعاليته كما تذكر مقدمة الكتاب "أن يكون الإقبال عليه بقلب سليم مبرأ من العقد، خال من الأفكار المسبقة، وأن تكون الصراحة هي الرائدة، داعياً العالم المسيحيَّ إلى العمل تدريجياً على تغيير عقلية الإخوة المسيحيين حيال الدين الإسلامي والمسلمين، داعياً إلى حسن الاستماع وخير الكلام، وتقبل المسلم كما يريد هو أن يكون"[٣].

وتقول مقدمة الكتاب "ولو أخذنا معظم شرائط الحوار وطرائقه وأدواته، كما وردت في هذا الكتاب لوجدنا أن الإسلام يأخذ بها؛ فهي إذا كانت في هذا الكتاب أفكاراً مرسلة وتمنيات نظرية، فهي في الإسلام عقيدة وشريعة. ففي الكتاب العزيز ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [هود: ١١/ ١١٨]، وفيه ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٤٩/ ١٣]"[٤].

---

(١) راجع كتاب (من أجل حوار إسلامي مسيحي)، وهو ترجمة لكتاب أصدره الفاتيكان باللغة الفرنسية موجه إلى الشعوب المسيحية عقب مجمع الفاتيكان الثاني الذى انتهى عام ١٩٦٥، هذا النداء جاء تحت عنوان (توجيهات من أجل حوار بين المسلمين والمسيحيين) والذي صدر في طبعة جديدة خلال عام ١٩٧٠، والكتاب المنشور باللغة العربية صدر في عام ١٩٨٣ وتقول كلمة الناشر بالعربية: "ونحن إذ ننشره باللغة العربية لنضعه بين يدي القراء من مسلمين ومسيحيين، لعلهم يرون فيه الحقيقة الناصعة لكل دين وعقيدة وإيمان".

(٢) المرجع السابق ص١٣.

(٣) المرجع السابق ص١٣.

(٤) المرجع السابق ص١٤.

ويضيف كلام المقدمة .. "وإذا كان في كتاب الكرسي الرسولي إشارة إلى أنه لا يطلب من المحاور المسيحي حمل المسلم على تغيير دينه عن طريق الحوار؛ ففي القرآن الكريم ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ [البقرة: ٢/٢٥٦]، وفيه ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠/٩٩]، وفيه ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ [الكافرون: ١٠٩/٦]. وإذا كان في الكتاب دعوة إلى الحوار بقلب سليم وبصراحة، ففي التنزيل: ﴿وَلَا تُجَـٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٢٩/٤٦]، وفيه ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٦/١٢٥][1].

هذه الصيغ الحوارية التي يتلمس الكتاب المشار إليه أن تكون منطلقات الحوار الإسلامي/ المسيحي تتنافى مع استشهادات د. عمارة الإطلاقية، وإن كان ما ذكره صحيحاً، ولا نشك أن تصدر تصريحات، بل وثائق من ألوان الطيف المسيحية الواسعة، إلا أنه من "بخسِ الناس أشياءهم" إطلاق المعلومات الناقصة أو الخاطئة على أنها الحقيقة المطلقة.

تقول وثيقة الفاتيكان التي نستشهد بها هنا تحت عنوان (قبول المسلم كما يريد أن يكون):

"... إن أولى مهام المسيحي هي التعرف على شريكه المسلم، لا كما هو بكل بساطة، بل كما يريد أن يكون... هذه المعرفة يجب أن تكون معرفة الصديق للصديق الذي يعمل على أن يكتشف في صديقه كل ما هو حسن وجيد،... وقد يظن البعض منا أن هذا يعني انقلاباً كاملاً في مواقفهم، وبالفعل فإن الحوار يتطلب منا نظرة جديدة للآخرين.. على ألا تكون نظرة لخصم يجب إخضاعه، أو لمريد يجب أن نعلمه، أو نهديه لعقيدتنا، أو لمرشح للهداية يجب أن نستولي عليه وننتصر، أو لمحاور

---

(١) المرجع السابق ص١٤.

يجب أن نعلمه كيف يتكلم، ولكن يجب أن تكون نظرتنا لهذا الرفيق نظرة من نتقاسم معه من خلال أخوة ومساواة أحسن ما في وجودنا المشترك، يجب أن نعمل من موقف الخدمة والمساعدة، وكما قال (لويس ماسينيون) المستشرق المعروف: لكي نفهم الآخر يجب ألا نستولي عليه وندمجه فينا، بل يجب أن نكون ضيوفه»[١].

يتسم الكتاب الذي نستشهد به بالاعتراف بأخطاء الغرب والعالم المسيحي في حق المسلمين[٢]، وبأن المسلمين عرفوا العالم الغربي من خلال الأنظمة الاستعمارية، ويدعو الكتاب المسيحيين في الغرب بأن يسعوا إلى تحقيق أساس أوليٍّ للحوار يعتمد على الاعتراف بأخطاء الماضي والحاضر معاً، من أجل صفحة جديدة بعيداً عن الآراء المسبقة والمتعصبة والوشايات المتحيزة.

ثانياً- في الإطار الامتدادي لتصحيح الخلل المعلوماتي... أي شيوع خطر (المعلومات الناقصة والخاطئة) في كل من الغرب عن الإسلام وفي العالم العربي الإسلامي عن التوجهات الجيدة والجادة لحوار جديد بين الأديان، نشير هنا إلى كتاب آخر على درجة كبيرة من الأهمية لكاتبه الألماني فريتس شتيبات الذي جاء بعنوان (الإسلام شريكاً)[٣]... وهو كتاب مهم يصدر في الوقت الذي تشتد فيه الحملات الظالمة ضد العرب والمسلمين، ويتصدى فيه د. شتيبات لتلك الحملات، وهو مستعرب معروف؛ عرف في الدوائر العلمية بإنصافه وموضوعيته التاريخية الدقيقة،

---

(١) المرجع السابق ص٣٣- ٣٤.
(٢) المرجع السابق ص٣١.
(٣) راجع شتيبات، فريتس الإسلام شريكاً: دراسات عن الإسلام والمسلمين، ترجمة د. عبد الغفار مكاوي، عالم المعرفة أبريل ٢٠٠٤ (الكتاب ٣٠٢) الكويت.

وتعاطفه العقلي والوجداني المستمر مع العرب والمسلمين. وفي هذا الكتاب يتصدى د. شتيبات إلى حملات العداء ولنموذج صراع الحضارات الذي يدينه ويفنده ويظهر ضعفه النظري الفكري وبهتانه العملي، ويدعو الغربيين إلى تصحيح مواقفهم من العالم العربي الإسلامي، والسعي لفهم الواقع بعيداً عن إعلان الحروب وتغذية العداء، ويتخطى ذلك إلى دعوة الغربيين لاعتبار الإسلام شريكاً ومشاركاً في مصير البشرية المعاصرة.

إن هناك كمّاً كبيراً للغاية من حوارات الأديان والثقافات اليوم عبر أنحاء العالم المختلفة وداخل الولايات المتحدة؛ خاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر، والمطلع على وثائق هذه المؤتمرات سيجدها تختلف كثيراً عما ورد في نموذج (الصدام الحضاري) الذي يهيمن على الساحة الدولية؛ الذي يملك أنصاره الصوت الإعلامي السلبي الكبير... ولكن ليس المعبر عن توجهات كثيرة وغالبة أصبحت ترفض هذا النموذج الصدامي وتعترف بخطورته الشديدة على العالم أجمع، من هنا وجب عدم السقوط في فخاخ الأحادية والمعلومات الناقصة والخاطئة في هذا الإطار.

٣-٣ حالة تقارير العرب والغرب Arab-West Report

تحتاج تقارير (العرب والغرب) إلى قراءة تفصيلية. إن هذه التقارير التي تنشر على شبكة الإنترنت والتي صدر في إطارها تقرير حديث بعنوان (حرية المسيحيين في مصر: أسلوب جديد في التغطية الصحفية لمسألة الحريات الدينية)، تقول إنها تحارب الاستقطاب والمعلومات الناقصة والخاطئة والمفتعلة التي تقع فيها دوائر من الإعلام الغربي عند تغطيتها لما قد يتعلق بالأقباط في مصر، والتقارير تتضمن بالفعل تصحيحات جيدة وعديدة لتقارير خاطئة تستحق التنبيه إليها. فتقرير (حرية المسيحيين في مصر) هو تقرير يصحح كثيراً من أخطاء تقرير الحريات الدينية الأمريكي

الذي كتب ونشر عن مصر. ولكن التحفظ الرئيسي لدينا يكمن في وقوف مثل كل هذه التقارير على (مربع مسلم ومسيحي) في نهاية المطاف، وهو أمر لا نرحب به ولا نتفق عليه، فمشكلات هذا الوطن تدخل فقط في إطارالمواطنة المصرية في دولة هي من أكبر الدول الإسلامية مكانة، وكذلك فهي تمثل نموذجاً فريداً لتعايش إيجابي بشهادة كل أصحاب العقول المنصفة، كما أن الوقوف على مربعات مفاهيم عولمية مثل (الحريات الدينية) بحاجة إلى مداخلات فمربع مفهوم (الحريات الدينية) يحتاج إلى دراسة تفصيلية أخرى... كما أن ترجمة المقالات ذات الطابع الديني من الإعلام العربي المصري أساساً، والتركيز الشديد عليها أكثر من أي شيء آخر في تلك التقارير- التي اطلعت على عينة كبيرة منها - قد لا يخدم أي قضية لبناء الأرضيات المشتركة بقدر ما قد يعكس ويركز على شرود وشتات ولامسؤولية بعض الكتابات في الإعلام العربي الذي هو بحاجة، في العديد من أطروحاته، إلى معالجات علمية داخلية ذاتية، وهو الأمر الذي قد يؤدي إلى إساءة استخدام مثل هذه الكتابات المترجمة، إلا أن أمر تصحيح المعلومات الناقصة والمبتورة والخاطئة هو فكرة تتبناها تقارير العرب والغرب، وهو أمر يحسب لهذه التقارير، إلا أنها بحاجة إلى مزيد من التوسع فيها أكثر بكثير، مما هو قائم، مع تجنب السلبيات التي أشرنا إليها، كما أن تفعيل حالات المداخلات الإيجابية بين الكتاب والشخصيات في الإعلامين العربي والغربي اللَّذَيْن يؤسسان أرضية مشتركة على أساس من مباريات المعلومات الدقيقة والصحيحة والمصححة لهو مطلب أساسيٌ للحوار والتفاعل عبر الإعلام والثقافات المختلفة، وهو أمر بحاجة إلى مزيد من تنميته ودعمه بشكل أعمق وأكثر كثافة في حالة تقارير العرب والغرب وغيرها من الأنشطة المماثلة.

رابعاً - خطاب وسيناريوهات العداء الصريح وحملات المعلومات المضللة والمعادية للإسلام في الغرب

حددنا في (البند الثالث)، في تحليلنا لخطاب وسيناريوهات المعلومات الناقصة والخاطئة، الأنماط الخمسة المصحوبة بمفهوم المعلومات، وتناولناها بالشرح والتوضيح، هنا نعود لنركز على أحد مستويات خطابات أنواع المعلومات، وهو هنا خطاب المعلومات المضللة Disinformation التي يمكن رصدها في إطار حملات عداء صارخ ترفض بالطبع فكرة الحوار النّدّي والعادل، وتهدف إلى:

أ. وصم العالم العربي الإسلامي بالإرهاب والتطرف، ووصم الإسلام ذاته بأنه يحمل كل جذور التطرف والإرهاب والتخلف، وكل هذه الصفات الجائرة التي تسعى دوائر الحملات المعادية إلى الترويج لها في العالم حتى يقتنع بمفهوم الفاشية الإسلامية Islamo Fascion الذي روج له فوكوياما[١] ويرى أن علاجها الوحيد هو شن سلسلة من الحروب للإطاحة بها كما حدث للفاشية الهتلرية الغربية في الحرب العالمية الثانية، **وإن اقتضى الأمر تدمير ثلث العالم العربي الإسلامي، على حد تعبير فوكوياما.**

ب. القبول فقط بحوار الهيمنة الغربية وتأثير الإسلام والمسلمين في الإطار الغربي والرضوخ والاستسلام على الجانب العربي الإسلامي[٢].

---

(١) راجع مقال فوكوياما بمجلة النيوزويك العدد السنوي بعنوان: "Their target:The Modern world, News week, Dec. 2002

(٢) هناك أدبيات ومواد إعلامية كثيرة تذهب إلى ملامح حوار الهيمنة الذي يزيد التوتر بين العالم العربي الإسلامي والغربي، فعلى سبيل المثال لا الحصر، راجع مقالاً كالذي كتبه جون مونرو الذي يقول: "إن على الولايات المتحدة أن تقف بكل حزم لتؤيد وتدعم أمثال سلمان رشدي ممن يتصدون للأصولية" (جون مونرو مقال بعنوان Islam & us بمجلة الشرق الأوسط - (بالإنجليزية)

جـ. وصول حالة العداء والاستعداء والاستهتار إلى قمتها بمحاولة التدخل في المناهج، والمطالبة بحذف آيات من القرآن الكريم؛ وغير ذلك من أساليب الرعونة المرفوضة، ولقد تعرضنا لهذا النمط في دراسات ومقالات سابقة، وذكرنا حالات تفاعلية عديدة توضح مستويات نموذج الصدام الحضاري بتنوعاته[1]، وذهبنا إلى القول بأن التصدي لمثل هذا واجب على كل عربي ومسلم ينتمي لتراب هذه الأمة، والهدف إفشال سيناريوهات التأطير والتقزيم الممهدة لمزيد من الانقضاض على الشعوب العربية الإسلامية، وقطع الطريق وإفشال هذه التعبئة الدولية الجائرة التي تسعى لإحداثها الدوائر التي (تضخ) نماذج وأمثلة صراع الحضارات باستخدام آلة الإعلام الضخمة لإنجاح سيناريوهات الصدام الحضاري؛ الأمر الذي أدى إلى وجود إحصائيات سلبية توضح أن العالم ينحو نحو هذا التصديق للترويج التحريضي الخاطئ ضد العالم العربي الإسلامي؛ إلى الحد الذي أثبته استطلاع أخير للرأي نشرته صحيفة فرانكفورتر الألمانية وجاء فيه: إن ٨٢٪ من الألمان يربطون الإسلام بالإرهاب[2].

= ١٥/ ١٠/ ٩٤)، إن هذا المقال مثله في ذلك مثل عشرات المقالات والمقولات الصادرة في رسائل من الغرب إلى العالم العربي الإسلامي التي توضح أن حالة "الاختطاف" والاستقطاب التي يدعمها الغرب لا تزال مستمرة بالثنائية التسلطية الطاغية... فالأصولية ليس لها إلا سلمان رشدي!! ولا تشجيع أو مخاطبة للإسلام الذي يعبر عنه الغالبية في العالم الإسلامي بعيداً عن كل من الأصوليين بالمعنى الغربي (المتطرفين) وبعيداً عن المتطرفين من أمثال سلمان رشدي.

(١) راجع لكاتب السطور: (العقل العربي والعقل الأمريكي إلى أين...) المكتبة الأكاديمية، القاهرة ٢٠٠٤م.

(٢) نقلاً عن حديث للسفير المصري بألمانية محمد العرابي بالأهرام في ١٦/ ١١/ ٢٠٠٤م.

- **حالة تفاعلية رقم (١) "حالة الحرية المهددة"**

ومن المهم أن نشير هنا إلى أن أساليب إدارة هذه الحملات الجائرة قد بدأت تأخذ أشكالاً متقدمة وخطيرة للغاية في استخدام كل أساليب الدعاية والحملات المضللة؛ وسوف نشير في إطار دراستنا هنا إلى حالة ممثلة لنوعية الموجة الأخيرة من حملات المعلومات المضللة ذات العداء الصارخ، وذلك بهدف الكشف عن الآليات المستخدمة والتي قد لا يتنبه لها أو يدركها القارئ العادي في الغرب بسهولة، والتي تحاول حتى إخضاع مستويات (القارئ الماهر) كذلك، نظراً لمحاولة مثل هذه النوعية من الحملات المعادية تكثيف هذه الآليات وتكثيف الخداع بالرجوع إلى أسلوب المعلومات الناقصة والخاطئة في المحتوى والأسلوب؛ وهو الأمر الذي لن يتضح للقارئ والمتلقي الغربي إلا بالتدخل من الباحثين في العالم العربي الإسلامي للكشف عن هذه الآليات، وإكمال المعلومات الناقصة وتصحيح الخاطئة... من هنا سنقدم رؤية أولية تحتاج منا إلى دراسة أخرى أكثر تفصيلاً لحالة "الحرية المهددة". إن خطورة هذه الحالة التي أشرنا إليها تكمن في أنها مطبوعة وتوزع بالملايين في الواقع الألماني الأوربي، وفيما يلي نقدم وصفاً للحالة ونضع نصها المترجم إلى العربية في ملاحق الدراسة، ثم نقدم رؤية لتوضيح مرتكزات الرد التفصيلي ومتطلباته وهي كما يلي:

وصف حال "الحرية المهددة" (بيانات الحالة):

العنوان بالعربي: الحرية المهددة: صراع القرآن مع الدستور والحريات في ألمانية وصراعه مع الدساتير والمعاهدات الدولية الجدل العقلي مع الإسلام.

الناشر: رابطة الحركات الشعبية لحفظ الديمقراطية والوطن وحقوق الإنسان - الطبعة الثالثة - ٢٣ مايو ٢٠٠٤م.

البيانات باللغة الألمانية هي:

المحتويات الرئيسية للمطبوعة هي ٨ فصول مكتوبة بإيجاز وأسلوب مقارن يوحي بالموضوعية الشكلية بأن يذكر عيباً كبيراً تجرمه الدساتير الإنسانية والدولية والدستور الألماني ثم يعود الكاتب/الكاتبون إلى الانقضاض على نصوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة؛ ليوضح أنها تؤكد على الأمور موضع النقد بهذه المطبوعة.

وفيما يلي عناوين الفصول الثمانية وموجز عن محتواها:

الفصل الأول بعنوان **"الدعوة للاغتيال والقتل وتسبيب الإصابات والدعوة للحرب"** + نصوص (مجتزأة) من القرآن + نصوص من الدستور الألماني والمواثيق الدولية للتجريم. وهو الأسلوب المتبع في كل فصول الوثيقة.

الفصل الثاني بعنوان: **"التمييز العنصري (كراهية الشعوب) وسب المعتقدات.**

الفصل الثالث: **"الدعوة للتشويه والضرب"**.

الفصل الرابع: **"جواز اقتحام منازل الغير والسرقة"**.

الفصل الخامس: **"التعارض مع الحقوق الشخصية العامة"**.

الفصل السابع: **"رفض حرية العقيدة"**.

الفصل الثامن: **"عن الالتزام بالحق (من عدمه)"**.

بعد القراءة المدققة في نصوص هذا النمط الدعائي، أتصور أن محاور الرد التفصيلي على هذا الشكل من (المطبوعات) يتمثل في كتابة

مقدمة موجزة للكشف عن طبيعة أدوات الدعاية (Propaganda Devices) المستخدمة؛ وهذه الأدوات التي إذا أمكننا رصدها في الخطاب كانت بمثابة اقتفاء لأثر الدعاية وهي:

١. المعلومات الناقصة Information lacking.

٢. المعلومات الخاطئة Misinformation.

٣. إخراج الكلام عن السياق Decontextuclization.

٤. تلوين الكلام لخلق إيحاءات بعينها Linguistic Manipulation.

٥. أسلوب الاستشهاد لتحقيق المصداقية Testimonial بالمصادر ذات القبول العالي للمتلقي.

٦. أسلوب الإلحاق الأوسع بما هو شائع وليس من الضروري أن يكون حقيقياً أو سليماً Band Wagoning.

إنه وفي الكشف عن هذه الآليات وتوضيحها كأساليب للدعاية المتخفية (وهو الأمر الذي نرصد له بحثاً تفصيلياً) من المهم أن يكون الرد مشتملاً على المصادر والتشريعات نفسها؛ في القانون والدستور الألماني وفي المواثيق الدولية ولحقائق القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة... بالإضافة إلى وثائق غربية مهمة كوثائق الحوار بين الأديان والثقافات (كما سنوضح)؛ وفيما يلي بعض الردود الممكنة على ما جاء في هذا النوع من الوثائق:

١) بخصوص جواز اقتحام المنازل والسرقة (مثلاً)!!! تصدر المطبوعة الآية القرآنية الكريمة التالية: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ﴾ [النور: ٢٤/٢٩].

وكما هو موضح بالمطبوعة (في ملاحق الدراسة) يستغرق مَنْ كتب نص (الحرية المهددة) بعد رصد الآية القرآنية (على أنها مبررة للسرقة

والعياذ بالله) في الاستشهاد بالدستور الألماني والوثائق الدولية التي تدين "انتهاك حرمات البيوت" و"الاستيلاء على ملكية الغير" وباستفاضة كبيرة وكأن الآية الكريمة قد ذهبت إلى ذلك.

المشكلة في هذه الجزئية بالتحديد في النص الألماني تتمثل في احتمالين هما:

١. أن تكون الترجمة لها الدور الكبير في سوء الفهم هذا... وهذا احتمال كبير للغاية... فلقد قدمت هذه الآية فقط للطلاب في أحد فصول الترجمة الفورية؛ وكانت النتيجة أن ٤٤ طالباً من ٤٨ ترجموها حرفياً فكانت مؤكدة - مع الأسف - لما ذهب إليه النص الألماني، ونجح أربعة طلاب فقط في ترجمتها الصحيحة...، ومع كل الأسف وبمزيد من البحث عن ترجمات القرآن الكريم وجدت الترجمة الحرفية (الخاطئة) في ترجمات (معتمدة للقرآن الكريم) حتى في ترجمة يوسف علي الشهيرة إلا أن يوسف علي قدم في الهوامش الشرح الصحيح.. ولكن ترجمته ليست دقيقة للنص.

٢. الاحتمال الثاني أن يكون النص قد تم إخراجه من السياق الكلي للآيات... ولا ترجمة تصح عند الاجتزاء والإخراج من السياق، إلا إذا كان الأسلوب هو الدعاية الكاذبة الرخيصة Decontex Tualization.

فما سياق الآية الكريمة التي تعبر عن عظمة أخلاق القرآن التي تفوق أروع مواثيق وبروتوكولات الدبلوماسية؟

السياق الترتيبي - التمهيدي - وصولاً للآية المستشهد بها (وهي ٢٩ من سورة النور (٢٤)) هو كما يلي: وسأستشهد هنا بترجمة يوسف علي للقرآن الكريم، ثم أترجم هامش التفسير... ولقد اخترت هذه الترجمة لأنها من أقدم ترجمات القرآن الكريم (من الثلاثينيات تقريباً) ومنتشرة في أنحاء

عديدة من العالم فيمكن للإخوة الألمان أو الأوربيين الرجوع إليها بدلاً من الظن بأننا نقدم تفسيراً رداً على مثل تلك المطبوعات المضللة، وها هو نص ما ورد في ترجمة يوسف (من قبل الآية وبعدها لتوضيح ما تتحدث عنه هذه الآية الكريمة (أي من الآية رقم ٢٧ إلى الآية رقم ٣٠):

27) ye who believe! Enter not houses other than your own, until ye have asked permission and saluted those in them: that is best for you, in order that ye may heed (what is seemly)	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾
28) If ye find no one in the house, enter not until permission is given to you: if ye are asked to go back, go back: that makes for greater purity. For yourselves: and God knows well all that ye do	﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾
29) It is not fault on your part to enter houses not used for living in, which serve some (other) use for you: And God has knowledge of what ye reveal and what ye conceal.	﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾﴾
30) Say to the believing men that they should lower their gaze and guard their modesty: that will make for greater purity for them: and God is well acquainted with all that they do	﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾

وأبسط قواعد التفسير أن ننظر إلى سوابق ولواحق النص المراد تفسيره، وهنا كان على أي محلل موضوعي أن ينظر إلى السياق الترتيبي الذي يتضمن التقنين الأخلاقي لبروتوكولات هي غاية في الحسن الإنساني رفيع المستوى، وهنا نبدأ؛ لفهم الآية (٢٩) التي صدرتها المطبوعة وعلقت عليها بقمة الجهل والخطأ والمعلومات الناقصة أو الخاطئة أو

المضللة، بأن ننظر إلى ما قبلها في الآيتين (٢٧)، (٢٨)، ففي الآية (٢٧) نجد البروتوكول الأول يقول بأهمية الاستئناس أي ليس الاستئذان فقط، ولكن التأكيد بأن من يزور أحداً لابد أن يستأذن، ولا بد أن يستأنس؛ أي أن يجد الترحيب بالزيارة، وهذا للحفاظ على كرامة الإنسان التي يدعمها النص القرآني إلى أبعد الحدود، وأن تتسم الزيارة بكل أخلاق وآداب المودة والاحترام، والآية التالية (٢٨) تحدد لنا طبيعة البروتوكول الأخلاقي الثاني وهو ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾.

أما البروتوكول الثالث: فهو ما استشهدت به المطبوعة بشكل من أشكال القفز، والانقضاض والتفسير المتعسف الخاطئ تماماً؛ وهو ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾﴾، وفيما يلي ما ورد في تفسير تلك الآية الكريمة التي ذهبت إليها المطبوعة بالإنجليزية كما وردت في هوامش ترجمة يوسف علي ونعقبها بترجمة عربية.

2982 The rule about dwelling-houses is strict, because privacy is precious, and essential to a refined, decent, and well-ordered life. Such a rule of course does not apply to houses used for other useful purposes, such as an inn or caravanserai, or a shop, or a warehouse. But even here, of course, implied permission from the owner is necessary as a matter of common-sense. The question in this passage is that of ***** privacy, not that of rights of ownership.

يقول تفسير الآية الكريمة: "إن قاعدة سكن البيوت هي قاعدة واضحة وصارمة، لأن الخصوصية "Privacy" هي من أثمن الأشياء عند أي إنسان، واحترام مثل هذه القاعدة هو من باب السلوك الرفيع والمحترم، ويعين على تنظيم علاقات المرء بالآخرين. إن مثل هذه القاعدة لا تنطبق بطبيعة الحال على تلك الأماكن التي تستخدم لأغراض

عامة نافعة (وهذا المقصود بـ ﴿بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾) وذلك مثال المطاعم أو أماكن الترفيه العامة أو محلات البيع العامة ﴿فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ﴾؛ أي فيها فائدة مثل شراء الأشياء أو الاستفادة بناد أو منشأة للترفيه. ولكن حتى في هذا السياق فبالطبع هناك إذن ضمني مطلوب من صاحب المكان العام كضرورة من ضرورات الذوق العام. القضية التي توضحها الآيات المترتبة من ٢٧ - ٣٠ هي قضية بروتوكولات أخلاقية من باب مراعاة خصوصية وحرمة أماكن الغير وحقوق ملكياته".

كان هذا هو تفسير الآية الصحيح الذي ورد في ترجمة من الثلاثينيات، وكان الأحرى الرجوع إلى مثل هذه الترجمة في كلياتها دون اجتزاء؛ ولكن، ومع احتمالية حدوث المعلومات الكاذبة والمضللة كأسلوب معروف هذه الأيام ضد العرب والمسلمين، فإن احتمال وجود ترجمات في غاية الخطأ ودون المستوى تماماً ليعد من الأمور الواردة جداً كذلك... من هنا نجد أهمية الرد والتصحيح، وعدم التجاهل والركون إلى الغضب والاحتقان فقط.

هل في تحليل مثل هذا المثال فقط ما يكفي لتوضيح طبيعة المعلومات المضللة وأساليب تلوين واجتزاء المعلومات؟!!

٢) أهمية الالتزام بالحق

تحت باب "أهمية الالتزام بالحق" في المطبوعة يتم، تصدير الآية القرآنية الكريمة (رقم ٨٩ من سورة المائدة) ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾﴾.

ثم ترصد المطبوعة قانون العقوبات (المادة ١٥٣) الخاصة أن الأقوال الكاذبة من دون حلف يمين التي تقول إن من يمثل من الشهود أو الخبراء أمام المحكمة أو أمام استجواب آخر مع حلف اليمين أو أمام جهة مختصة بوصفه شاهداً أو خبيراً، ويدلي بشهادة كاذبة، فإنه يعاقب بالسجن لمدة تتراوح ما بين ثلاثة أشهر وخمس سنوات. إلى آخره من بنود تستغرق المطبوعة في رصدها.

الأسلوب المستخدم هنا كذلك يتسم بالانقضاض والتعسف في التفسير وعدم الفهم الدقيق المراد من الآية الكريمة (٨٩ من سورة المائدة) فالمعنى هو:

"لا يعاقبكم الله بسبب ما لم تقصدوه من أيمانكم، وإنما يعاقبكم بسبب الحنث فيما قصدتموه ووثقتموه من الأيمان. فإن حنثتم فيما حلفتم عليه، فعليكم أن تفعلوا ما يغفر ذنوبكم بنقض اليمين... إلى آخره".

الآية الكريمة تدين الحلف وتطالب المؤمن المسلم بأن يحفظ أيمانه من اللغو... أي ما لا يقصده...

ولكنها لا تبرر أو تسمح بالكذب كما صورت ذلك تلك المطبوعة؛ ولكن الخالق عز وجل الرحيم بعباده وهو الأعلم بطبيعة الخلق... فيعلم سبحانه حالات الضعف في أداء الكلام التي قد تعتري أي إنسان... فيكون هناك مجالٌ للتخفيف ما دام الأمر لم يكن مقصوداً.

والسؤال هنا: هل هناك اختلاف عبر الثقافات أم أن المطبوعة تسجل حالة من الانقضاض والتعسف في التفسير والأحكام؟

ربما يكون هناك - من وجهة نظرنا - بعد موجود في التواصل عبر الثقافات في هذه الجزئية... فمثلاً عندما قبض الاسكوتلانديارد على المهندس المصري المعروف ممدوح حمزة الذي ذهب إلى بريطانية

كشخصية دولية مرموقة، وبدعوة من ملكة بريطانية، كانت التهمة الموجهة إليه أفعال القول "بالشروع في القتل"، وربما كان ما قيل تعبيرات مثل: "دول ناس يستهلوا القتل" أو ما شابه ذلك من مقولات استعارية شديدة الحدة قد تكون بمنزلة لغة التنفيس حيث لا تكون الكلمات مقصودة حرفياً، وهو أمر له وجوده في الخطاب العام الغربي، فمن مقولات تبادل الحجج نسمع من يقول: "Do not kill him" وليس المقصود هو "لا تقتل فلاناً"، بل "لا تقتل حجته بالكامل ليكون للحوار أو للتواصل خيط يمكن استئنافه لمصلحة الجميع... هذا وارد... وهذا يدخل في باب "اللغو" بعدم القصد الجنائي بالقتل أو بعدم القصد الحرفي، ولو أنه منهيٌّ عنه، وعند العودة إلى سياق الآية الكريمة، نجد أن هناك أمراً "بحفظ الأيمان" ولكنها عظمة الخالق في المحاسبة على القصد فقط... ولا يوجد في القانون الدولي تعبير "القصد الجنائي" ووجوب توفره من عدمه... أليس في الآية الكريمة ما يستوجب الحسم مع الخطأ وعدم المؤاخذة بعدم القصد، وهو شيء يجب على البشر تعلمه حتى يكون للتواصل ما يناسب الطبيعة البشرية التي خلقها الله سبحانه وتعالى.

من الممكن الاستغراق في تناول الأساليب الثمانية المنتهجة في الفصول الثمانية الواردة بالمطبوعة؛ ولكن سيكون في ذلك تكرار. أما النقطة الأخيرة التي أطرحها للاسترشاد بها في الرد على مثل هذه الأنماط من حملات المعلومات المضللة والمتسمة بالعداء الصريح؛ فهي الرجوع إلى الخطاب المفتوح للأديان وليس للخطاب المغلق الخاص بطبيعة كل عقيدة في أحكامها الخاصة، وفي نظرتها للكفار أو (المثليين من الشواذ)، أو غير ذلك مما لا ينبغي مناقشته، لأن الخطاب المغلق لكل عقيدة بما فيها من اختلافات مع الآخرين قد يؤدي إلى (محاكمة كل العقائد) من قبل المتدخلين بأسلوب المطبوعة نفسه تحت الدراسة، ولكن المطلوب هو التعامل مع الخطاب المفتوح الذي يحدد كيف تتعامل كل

عقيدة مع (الآخرين) من غير أتباعها؛ وهنا لن نجد فقط تطابقاً بين الإسلام وكل القيم الإنسانية العليا في المواثيق الدولية، بل سنجد إسهاماً إسلامياً إنسانياً متميزاً لدعم هذه القيم الراقية؛ لإسعاد البشر وإعزاز كل ما يتعلق بكرامة الإنسان وقيم العدل والخير والنماء والرحمة للعالمين.

تبقى الإشارة هنا إلى الاستشهاد بوثائق دولية وقواعد مهمة أشارت إليها وثائق للفاتيكان وللحوار عبر الأديان والثقافات من مثل كتاب (من أجل حوار إسلامي مسيحي) حيث تطلب وثيقة الفاتيكان من العالم المسيحي ألا يقدم على ما يمثل شكلاً من أشكال العداء للإسلام والمسلمين، لما في ذلك من ضرر كبير على العالم أجمع، كما تطالب وثيقة الفاتيكان بما هو أكثر من ذلك وهو المتمثل فيما يلي:

"من الضروري أن نحذر من قراءة مسيحية للقرآن الكريم حتى ولو كان يدفعه ويشجعه اهتمام صادق بالتقارب واللقاء، لأن المسلم يحتفظ لنفسه بحق تفسير النص. كما أن على المسيحي ألا يبادر إلى إعطاء المسلم دروساً في التفسير القرآني، وبالمقابل عليه أن يفهم وبكل العمق، لماذا يؤثر الكتاب المنزل هذا التأثير البالغ في قلب المؤمن وعقله"[1].

وتضيف وثيقة الفاتيكان وتشير إلى أهمية معرفة حقيقة مهمة تتعلق "بعلم قراءات النص القرآني" التي تحتاج دوماً إلى متخصصين على مستوى عال من الفهم للنص الديني، وتشير وثيقة الفاتيكان إلى "قوة النص المدهشة التي تفوق بالفعل وفي أكثر الأحيان، كل من لا يستطيع تذوق هذا الكتاب الكريم باللغة العربية، وعلينا أن نعتقد أن ترجمته - وهنالك ترجمات ممتازة- لا يمكن أن تعبر عن البيان والفصاحة البالغتين فيه مع الإيقاع والوزن المهمين..."[2]. فما بالنا بالترجمات الخاطئة

---

(١) مرجع سابق (من أجل حوار إسلامي/ مسيحي) ص٥٦، ٥٧.

(٢) المرجع السابق ص٥٧.

والناقصة!! الأمر إذن يستلزم التفاوض على أهمية الرجوع للمرجعيات الإسلامية المعروفة كالأزهر وغيره إذا كان للمخلصين والجادين لحوار الثقافات والأديان أن يتصدوا للحملات الجائرة ويمنعوا أو يحدوا من تأثيراتها السلبية المدمرة للإنسانية جمعاء.

- **حالة تفاعلية رقم (٢) حالة حكايات إيسوب**

في إطار إظهار أمثلة أخرى من أمثلة حملة المعلومات المضللة والجائرة ضد العالم العربي الإسلامي التي يتم شنها وتجذير مفاهيمها في الغرب ضد العرب والمسلمين؛ وعلى مستوى زرعها عند أطفال الغرب، لفت نظري الفتى إبراهيم حسن لما كان يقوم بقراءته بعد أن سمعني أتحدث عن موضوع هذه الدراسة؛ وفيما يلي القصة التي أغضبته، وجاءت في كتاب (حكايات إيسوب) الأشهر والأكثر مبيعاً في أدب الأطفال، وهو الكتاب الذي تمت ترجمته في إطار المشروع القومي للترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة[١].

- **الحكاية التي جاءت بعنوان: حمولة من الأكاذيب**

في يوم من الأيام كان الإله (هرميس) يدفع أمامه عربة مليئة بالأكاذيب، ويتجول بها في جيمع أنحاء العالم، حملت العربة الشرور والآثام والآفات والغرور... إلخ، وأراد أن يوزع بعضاً من الحمولة على كل بلد. ولكن يقال: إنه عندما وصل إلى أرض العرب تحطمت العربة أشلاء، وهجم السكان على الأشلاء يغتنمون ما فيها كما لو كانت بضائع قيمة، حتى لم يتبق شيء يمكن أن يحمله (هرميس) إلى أي مكان آخر!

---

(١) راجع: إمام عبد الفتاح إمام (حكايات إيسوب): دراسة وتعليق وترجمة، مطبوعات المجلس الأعلى للثقافة - المشروع القومي للترجمة.

المغزى الأخلاقي: "العرب أعظم الكَذَبَة في العالم كله، وهم المخادعون الغشاشون على ظهر الأرض، فألسنتهم لا تعرف الحقيقة أبداً"[١].

خامساً - خطابات وسيناريوهات اللاحوار واللاتفاوض

في إطار عرضنا للخريطة الذهنية الكلية أو ذات النطاق الأوسع لحوار الثقافات والأديان، كان لابد من التوقف بالتحليل أمام نمط من المتفاعلين ممن يرفضون أو يتحفظون أو يعترضون على فكرة الحوار عبر الأديان والثقافات، ويمكننا تصنيف هذه الفئة في مستويات متعددة من واقع تحليل كمٍّ كبير من البيانات التفاعلية، وهم كالآتي:

١. المتحفظون بعد تجارب سلبية في الحوار والتفاوض عبر الثقافات والأديان... ولأن الحوار لم يأت بجدوى إلى الآن، بل إن

(١) يعلق د. إمام عبد الفتاح مترجم القصة فيقول: لقد آثرتُ أن أنقل هذه الحكاية كما هي دون أن أغير فيها شيئاً. وهي في الواقع تحتاج إلى تأمل لأنها مختلقة ومدسوسة على إيسوب، فالرجل بالقطع لم يكن يعرف العرب، ولا أظن أن الاسم نفسه كان معروفاً في عصره (القرن السادس قبل الميلاد) فهي إذن موضوعة حديثاً؛ ومن ناحية أخرى لم أجد لهذه الحكاية أثراً في الترجمة القديمة التي قام بها الأديب الإنجليزي (سير روجر ليسترانج Sir Roger L'Estrange) في القرن السابع عشر، وعلى وجه التحديد عام ١٦٩٢، فكان أول من قدم ترجمة لمجموعة (حكايات إيسوب) وهي الترجمة التي نشرت في بلاد عديدة: إنجلترة، وفرنسة، وألمانية، والولايات المتحدة... إلخ وطبعت عدة طبعات. إذن فالحكاية ليست من وضع إيسوب، ولكنها مرة ثالثة، موضوعة ومختلقة. فمن الذي وضعها يا ترى على هذه الصورة البشعة؟! لقد ظننت أن المترجم الإنجليزي الذي أنقل عنه يهوديٌّ، لكنه ليس كذلك.. فمن أين جاءت هذه القصة العجيبة؟! ومن الذي وضعها وما هدفه؟ وإذا كانت هذه الحكايات معدة لتدرس للأطفال في كثير من الأحيان، فأي حقد يزرع فيهم منذ الصغر؟. وأي ضلال يترسخ في نفوسهم في هذه السن المبكرة نحو العرب؛ بلادهم، وأطفالهم، وقضاياهم؟

الأمور لا تتحسن من وجهة نظرهم من خلال تلك الحوارات.. لأسباب عديدة.

٢. اليائسون من فكرة نحت وصياغة الأرضية المشتركة عبر الثقافات والأديان ولقد سمعت أحدهم يقول: "أنا بعد أن وقفت نفسي لفكرة الأرضية المشتركة لعدة سنوات، اتضح لي أن هذا الأمر يكاد يكون مستحيلاً، فلندع العالم يتصارع!!".

٣. الذين سيطرت عليهم فكرة التآمر الدولي إلى أبعد حدودها إلى درجة الاستسلام؛ وأنه لا فكاك من فخ المؤامرات، وتسمع أحدهم يقول: "إن أي حوار يريدونه... يريدونه لتصفيتنا، وإنهم يستغلون كل شيء في ذلك... ومنهم (أصحاب النيات الحسنة) ليكونوا وسيلتهم إلينا..".

ومن هؤلاء من يقول: لا داعي للتعجب من الحملة ضد الإسلام والمسلمين في الغرب، فقواتهم على أرضنا في العراق وفلسطين، والحملة في الإعلام التي يشنونها مثل الشتائم... "فهل ثمة ضرب من غير شتيمة"!!

٤. بعض عقليات (الوصاية الفكرية) التي ترى أن أمر حوار الأديان والثقافات والحضارات ما هو إلا فرصة الآخرين لاختراقنا أمنياً وغزونا ثقافياً، وأسلوب هذا النفر من الأوصياء يتسم بأنه "ليس على المستمع إلا أن يقول آمين... وأن (الباب الذي يأتي منه الريح... سده واسترح)"!!

٥. (المولولون) و (المحرضون): هناك - مع الأسف - قطاع من غير المفكرين الجادين والمجتهدين أو المدربين الذين يجيدون توجيه أقلامهم وأصواتهم لفكر الغوغائية وإثبات ما هو سهل، وهؤلاء تجدهم يرفعون شعارات على غرار "أمتنا في خطر"!! وتجدهم يلعبون مباراة لإزاحة

الآخرين من ساحة التفاعل لتفرغ لأمثالهم، فيتحركون من الإثبات السهل للشعار السهل جداً المتمثل في الأخطار المحيطة بنا من كل جانب، إلى فكر تأطير الآخرين ووصمهم بالعمالة أو الجهالة أو الاثنين معاً، وتجدهم يقومون بهذا برعونة بالغة غير أخلاقية وغير دينية، كما يدعون، ويلعبون فيها على أوتار التخلف والجهل والسهولة...

٦. قطاع يقول: "لا لحوار الأديان.. والإسلام ضد صدام الحضارات"... ويقصدون أن حوار الأديان ليس مضيعة للوقت فقط، بل هو أمر خطأ لأن فهمهم لمفهوم (حوار الأديان) هو مجرد خوض في العقائد فقط، وهذا مجلبة للاختلاف وتعميقه.

إن هذا القطاع (اللاحواريّ) بفئاته الست ممن يملكون رؤية أحادية غالباً وضعفاً في إرادة الفعل الإيجابي إلى آخر لحظة في حياتهم، هو قطاع في ازدياد نظراً لعدة أمور تتعلق أساساً بأن منهم من قد أصيب بعوامل الهزيمة النفسية تماماً، ومنهم من يتصل بالمنفعية وركوب موجات الإنشاء والاحتقان والاندهاش وتأكيد المؤامرات التي تستهدفنا واللافعل، وسوف نعود لتحليل ذلك كله في إطار طرحنا لمنظور لغويات التفاوض، ومن منظور القواعد المقصدية للدين الإسلامي الحنيف.

سادساً - الخطاب التفاعلي الباحث عن الأرضية المشتركة وصياغتها علمياً وأخلاقياً في حوار الثقافات والأديان والحضارات

هناك عدد كبير من الباحثين عن العدل وعن الأرضية المشتركة التي ينبغي الوقوف عندها، والسعي لصياغتها أو نحتها على أساس علمي وعادل وأخلاقي في عمليات التواصل عبر الثقافات والأديان والحضارات، بالرغم من الظهور الطاغي لنظريات الصراع والصدام

الحضاري التي ما كان لها أن تزدهر إلا بفعل آلة الإعلام الجهنمية، والسيطرة الكبيرة على مساحات واسعة فيها، وإلا بفعل غياب الصوت المناهض للهيمنة ولنموذج الصدام الحضاري في كل من العالم العربي الإسلامي وفي الغرب؛ بما يحتاجه الأمر من جهود جبارة وتنسيق وتشبيك وحركة دولية قوية ينبغي أن نساهم في خلقها لتكون طريقها لبناء القوة المطلوبة ولجعلها مؤثرة. ولعلي أرصد هنا أمثلة ومنطلقات للباحثين أو العاملين على إنشاء وصياغة الأرضية المشتركة، وتتمثل في الحالات التالية:

١. حالة الأبحاث العلمية الجادة والموضوعية التي تسعى لإظهار الحقائق بعيداً عن حركة تسييس البحث العلمي السلبية؛ التي كان من نتيجتها ظهور مروجي نظريات الصدام الحضاري، والدراسات الجادة والعلمية تفوق بكثير المسيسة، وعلينا فقط الاطلاع عليها وفرز الغث والسمين في هذا الصدد.

٢. حالة العديد من مؤتمرات الحوار عبر الثقافات والأديان الناجحة التي لا ترى نتائجها النورَ والتفعيلَ الصادق والمستمر؛ بسبب حالة كمائن المؤتمرات؛ أو حالة تفعيل أجندات غير صادقة وغير إيجابية في سياقات بعينها.

٣. حالة نداءات صادقة وتحركات عديدة في كل من العالم العربي الإسلامي والفاتيكان ووجهات أخرى في الغرب المسيحي؛ معبرة عن البحث عن العدل والسلام العادل، ومحاربة مشاكل المعايير المزدوجة ومشاكل العالم الملحة كالفقر، وتلوث البيئة، وفض النزاعات، ومحاربة الإرهاب والعنف والاقتصاد، وإعلاء قيم حقوق الإنسان الحقيقية لا تلك المستقرة وراء بريق مثل هذه المفاهيم لأجندات الهيمنة والتفتيت كحوارات دارت في الأزهر وفي الفاتيكان وفي كانتر بيري وغيرها من

زيارات ولقاءات ناجحة تحتاج منا إلى حصرها ومتابعتها وتفعيل نتائجها؛ لإعطاء التراكم والزخم لدفع حركة دولية إيجابية تظهر بوجهها الإيجابي لمصلحة الجميع.

٤. دراسة حالة تفاعلات الشخصيات البارزة في عالم اليوم، وحالة الأمير تشارلز ولي عهد إنجلترة كحالة متميزة لخلق وصياغة الأرضية المشتركة الفعالة، ولعلّي أركز خاصة على منطلقات ما أسميه "بحركة الأمير تشارلز" المتمثلة فيما أعلنه من منطلقات في محاضرته المحورية ذات الدلالات المهمة بعنوان (الإسلام والغرب) في افتتاح مركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية بجامعة أكسفورد العريقة، وإعادة محتواها مؤخراً في سياقات حديثة في عدة محاضرات ورسائل كتبها[1]. وسوف نقدم قراءة تحليلية لخطاب الأمير تشارلز في الجزء الثالث من هذه الدراسة؛ لما يمثله من أساس قويّ لمنطلقات صياغة الأجندة العادلة لأرضية مشتركة يمكن أن تغير من مسار العلاقات الدولية نحو آفاق أفضل وأرحب مما هو حادث اليوم، وهو ما سنقدم له أمثلة في إطار المنظور المقترح في نهاية هذه الدراسة؛ بالجزء الثالث.

سابعاً - خطاب موضوعات التفاعل الدولي في عصر العولمة وطبيعة التفاوض التنازعي والتعاوني في هذا السياق عبر الثقافات والحضارات

النمط السابع والأخير في إطار تقديم الصورة المتكاملة لخطابات الخريطة الذهنية يتمثل في ذلك النمط من الخطاب الذي يتوجه من خلاله

---

(١) راجع - على سبيل المثال لا الحصر - رسالة بعنوان (رسالة عن الإسلام من الأمير تشارلز ولي عهد بريطانية) الموقع:
http://www.al-nasir.com/divineislam

مجموعة من المؤتمرين المتحاورين لعلاج ومناقشة موضوع مثل الديمقراطية، محاربة الفقر، العنف، السكان، البيئة، التنمية، دور المرأة، السلام، إلخ وتقديم رؤية الخصوصية الدينية والثقافية عند تناول المشاكل التي يثيرها كل موضوع، من هنا يمثل هذا النوع من الخطاب امتداداً لنمط الخطاب (رقم ٦) الداعي والمؤسس لأرضيات مشتركة تتبلور أكثر من المنطلقات العامة إلى الخوض في موضوعات معينة عبر الثقافات والأديان.

ومن الأمثلة لذلك المؤتمرات الدولية على غرار مؤتمر التنمية والسكان الذي انعقد بالقاهرة عام ١٩٩٤، وتتسم مثل هذه المؤتمرات بتدخل أنماط الخطابات السابقة فيها فتكون صراعية تنازعية، أو تعاونية فعالة، كما حدث في تفاعلات مؤتمر السكان، حتى يتم صياغة أجندة دولية بعينها، وهذه المؤتمرات تتسم بالتفاوض الممتد والمستمر والمتراكم ولابد من مشاركة العالم العربي الإسلامي بإيجابية فيها بعيداً من مساحات التفاوض المهجورة التي حينما نتركها تذهب إلى أجندات ونتائج وقرارات ليس في مصلحة أجندتنا وخصوصيتنا الثقافية، وحالات هذه المؤتمرات وخطاباتها بحاجة إلى دراسة أخرى تفصيلية.

الجزء الثاني

قراءة تحليلية للخريطة الذهنية لحجج الخبراء الدوليين المشاركين في حلقتين نقاشيتين

على هامش المؤتمر السادس عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

٢٩/٤/٢٠٠٤ - ٣٠/٤/٢٠٠٤

نقدم في هذا الجزء قراءة تحليلية لملف بيانات في هذه الدراسة (Data File #2) وسنستعرض فيما يلي وصفاً لهذا الملف ولإجراءات تحليله:

طبيعة ملف البيانات #٢ لهذه الدراسة والإجراءات التحليلية

الإجراء الأول: بعد المشاركة في وقائع الحلقتين النقاشيتين على هامش المؤتمر السادس عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، قمت بتفريغ شرائط الحلقتين، ليس على سبيل الرصد المتتالي؛ ولكن بأسلوب الرصد الدقيق للحجج الرئيسية، وما تعلق بكل حجة من مداخلات وأسئلة لتكون الأساس العلمي لمسار الحجج اللازمة لوضع أجندة وسيناريوهات مستقبلية للحوار التراكمي (Agenda Setting) في إطار موضوع "الإسلام والآخر في العلاقات الدولية وقضايا التواصل عبر الثقافات والأديان".

الإجراء الثاني: إذا كان ما نال وقائع الجلستين المشار إليهما هو مجرد رصد كل حجة وأسئلتها، وما تعلق بها من مداخلات، خطوةً أولى لرصد ملامح الخريطة الذهنية الكلية لتفاعلات الخبراء الدوليين المشاركين بخصوص الحجج المتعلقة بموضوع الإسلام والآخر في العلاقات الدولية في ذلك المؤتمر، والتي بلغ عددها ٢٢ حجة، فإن الخطوة الثانية هنا هي إعادة تحليل خريطة الحجج هذه، وتقديم نوع من الدمج بلغ عشر حجج، وتقديم قراءة إحصائية بسيطة لزوايا الطرح واتجاهات الرأي في التعرف على أهم الحجج الحاضنة Arguments Nesting التي حظيت باهتمام وتبني الخبراء لها على أنها مدخل له دلالاته للتعامل مع موضوع الإسلام والآخر في العلاقات الدولية، وقضايا التواصل عبر الثقافات والأديان.

وهذا الإجراء وفكرة جمع الخبراء في الحلقتين النقاشيتين يعتبر تقنيةً إجراء (تفاعلات جماعة الخبراء) (Group Dynamics & Expert Judgment) المعروفة في التنبؤ وتحليل خطابات المستقبل من خلال صياغة حجج السيناريوهات المستقبلية[1].

- **الإجراء الأول: رصد الحجج الرئيسية**

على غرار الأسلوب العلمي المنتهج في مشاريع استشراف المستقبل الدولية، فإن الأسلوب الإجرائي المنتهج هو رصد الحجة، واستخلاصها تحليلياً مما ذكره المتحدث الذي طرحها، وترقيمها، للإشارة على من قاموا بالمداخلات بخصوصها تفنيداً أو تحديداً.

---

(١) يعد هذا الإجراء العلمي من الإجراءات الحيوية التي تستند إليها مشاريع دراسات المستقبل؛ ولمزيد من التفاصيل الفنية راجع: د. حسن وجيه حسن، سيناريوهات الحرب والسلام: دراسة من منظور لغويات التفاوض، دار المعراج الدولية، الرياض، ١٩٩٩.

المتحدث الأول: أ. د. جعفر عبد السلام، الذي افتتح الجلسة، وتحدث بإيجاز عن طبيعة الجلستين، وبدأ بطلب الحوار من د. زكي بدوي.

المتحدث الثاني: د. زكي بدوي (بريطانية)، وقد تحدث عن طبيعة الفجوة الراهنة في عمليات التواصل والحوار بين العالم العربي الإسلامي والغرب، فتعرض لعدة زوايا ونقاط، وركز في تناوله على الحجة القائمة في كثير من الأوساط الغربية فطرح ما يلي:

الحجة رقم ١ في مسار النقاش: حجة تفاعلات الشمال والجنوب

إن المشكلة أو الفجوة القائمة تتمثل في أن الحوار القائم بين العالم العربي الإسلامي والغرب هو بين دول متقدمة وأخرى متخلفة، أو هو كما يُسمى أحياناً "بالحوار بين الشمال والجنوب"، ولهذا التصوير الشائع خلفياته لدى بعضهم وتداعياته وأسئلته وأجندته.. (فما أهم الأسئلة التي يتعين علينا إثارتها في إطار حوار الثقافات في هذا الصدد؟).

بخصوص هذه الحجة، ذكر د. بدوي أن بعض الأوساط في الغرب تنظر إلى الموضوع برمته على أنه "حوار بين دول متقدمة وأخرى نامية أو متخلفة"، وفي خضم هذا التوصيف وُصف الإسلام - ظلماً - بأنه "سبب التخلف وعدم التقدم"، وأنه على النقيض، "دين يدعو إلى العنف، والانغلاق، وكراهية الآخر المغاير"، واسترسل د. زكي في تفنيد هذه الحجة بشيء من التفصيل، فراح يعدد أمثلة للتدليل على روح الإسلام الحقيقية، وعن عطاء الإسلام الحقيقي للعالم عبر التاريخ، وعن تسامحه غير المسبوق تاريخياً، خاصة مع أصحاب الديانات والعقائد الأخرى. وخلص إلى طرح معادلة ذكر في إطارها أن على العالم أن يتعامل معها بصورة جدية وهي:

إن السلام بدون عدل = حرباً خفية بأشكال متعددة

Peace with no justice = hidden war

المتحدث الثالث: د. مراد هوفمان، (ألمانية)، وقد طرح د. هوفمان الحجة التالية:

الحجة رقم ٢ في مسار النقاش: حجة أهمية الابتعاد عن الخطاب الإقصائي:

إن أداء المسلمين يمكن أن يغير كثيراً من الأوضاع، وإنه من المتحتم علينا تقديم نقد موضوعي لهذا الأداء، والنقطة المحورية هنا أن الأداء لا يزال متقوقعاً أو انعزالياً، وليس منفتحاً كما ينبغي أن يكون.. ولهذا آثاره السلبية الكبيرة (فما الذي ينبغي عمله لتفعيل وتحسين ذلك الأداء؟).

وهنا انتقد د. هوفمان ملامح الخطاب الانعزالي، الذي يتبناه كثير من العرب والمسلمين في طروحاتهم؛ على غرار ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران: ٣/ ١٩]؛ بالرغم من صحة الطرح عقائدياً- بالطبع - إلا أن هذا المدخل كما ذهب هوفمان، لا يمثل المدخل الأنسب لمخاطبة الغرب المختلف عقائدياً. وأضاف د. هوفمان حجة امتدادية للحجة رقم ٢ أعلاه وهي:

الحجة رقم ٣ في مسار النقاش: حجة أهمية الابتعاد عن الخطاب الانتصاري واللا فاعل:

إن المشكلة الرئيسية في الخطاب الإسلامي -بجانب أنه متقوقع وانعزالي- تتمثل في أن كثيراً من ملامحه تتسم "بالمذهب الانتصاري" (Triumphalism).. حيث إن النصر حليفنا في النهاية، و(دون الأخذ بالأسباب المطلوبة)، وبملامح (خطاب الضحية) والهروبية من مسؤولية الفعل، وتدعيم ذلك بملامح من الفكر التآمري الذي يعزو الأمر أساساً إلى الخارج. (فما الذي ينبغي القيام به للتغلب على هذه السلبيات التفاعلية؟). وهنا انتقد د. هوفمان ملامح أخرى من الملامح التي يرى أنها سلبية ممّا يتسم بها الخطاب الإسلامي في الغرب، ولا يكسب من خلالها، وهذه الملامح مثل (تبني المنهج أو المذهب الانتصاري) أي

الشعور بالنصر دائماً، أو التغني بالماضي المجيد، وهو الأمر الذي يقود إلى (الهروبية Escapism) التي تجعل الإنسان يتنصل من المسؤولية والمحاسبية، واتخاذ الصيغة الفاعلة، وهو ما تعمقه نظرية المؤامرة في ذلك الخطاب، وشيوعها بشكل يؤثر سلباً في نظرة الآخرين للمسلمين، ويوقع اللوم على الخارج أساساً، وما لذلك من تداعيات سلبية كبيرة، وعدم الاعتراف بالخطأ، وتقويمه، وفهم تعقيدات المشاكل والصراعات.

المتحدث الرابع: يوهان مارتي (النمسة).

الحجة رقم ٤ في مسار النقاش: حجة أهمية التعامل مع اللاتسامح الغربي خاصة تجاه العالم العربي الإسلامي

وقد تطرق د. مارتي إلى موضوع إخفاق التاريخ الغربي في تقديم أمثلة قوية على التسامح مع الآخر، وذكر أن المشكلة تكمن في أن تاريخ الغرب مليء بالأمثلة الصارخة في (اللاتسامح) Intolerance حتى فيما يتعلق بالتفاعلات الغربية/ الغربية ذاتها، وللتدليل على ذلك تم طرح الحجتين التاليتين من المشاركين:

الحجة رقم ٥ في مسار النقاش: حجة نجاح "الوصفة العلمانية"

إن الغرب يقدم (العلمانية) وكأنها هي سر النجاح والتقدم في الغرب، وهي دعامة للسلام بين عناصر الأمة.. فماذا عن التعامل مع وجهة النظر هذه؟ وهل هي صواب أم خطأ في إطار تفاعل الثقافات والحضارات؟

الحجة رقم ٦ في مسار النقاش: حجة التساؤل حول حقيقة نجاح العلمانية

إن هناك تساؤلاً مشروعاً يتمثل في السؤال التالي: هل العلمانية حقاً هي الدواء الشافي لكل الأمراض، أم أن ما ينفع الغرب -وهو العلمانية- قد لا يكون نافعاً في العالم العربي الإسلامي؟ وهل يمكن أن يتم فرض العلمانية نموذجاً على العالم كله؟ أوَلا يوجد ما يُسمى "بالتطرف

العلماني"؟ وماذا عن المدارس والنماذج الأخرى التي تكون أكثر ملاءمة للعالم العربي والإسلامي[١]؟.

المتحدث الخامس: د. محمد المصري (كندة)، وحجته تتمثل في:

الحجة رقم ٧: حجة مناقشة تصوير الصراع على أنه شمالي في مواجهة دول الجنوب وأهمية استنهاض الطاقات ودور المرأة

وقد ركز د. محمد على تقديم إضافات واستطراد للحجة الأولى التي طرحها د. بدوي عن رؤية إشكالية الحوار بصفته "حواراً بين الشمال المتقدم والجنوب النامي أو المتخلف"، وأهمية استنهاض الواقع العربي الإسلامي في الميادين كافة، وخاصة فيما يتعلق بقضية المرأة وتمكينها.

المتحدث السادس: د. مصطفى تسيريتش (البوسنة - والهرسك)، وكانت حجة د. مصطفى تتمثل في الآتي:

الحجة رقم ٨ في مسار النقاش حجة أهمية التوقف عن خطاب إهدار الفرص في العالم العربي:

إن العالم الإسلامي هو عالم الفرص الضائعة.. وإن الأمر قد أصبح في غاية الخطورة، ولا يمكن أن يستمر مسلسل الفرص الضائعة، ولابد من التحرك العاجل والجماعي للأمة العربية الإسلامية. فمن أين وكيف نبدأ التحرك الفعال لخير هذه الأمة؟ وكيف لا نفسد حجج المؤيدين لنا؟

بعد أن طرح د. مصطفى حجة (رقم ٦) عاد إلى حجج د. مراد هوفمان (رقم ٢، ٣) ليدعمها ويتفق مع ما ذهب إليه د. هوفمان، ويضيف

---

(١) لمزيد من التفاصيل بخصوص هذا الموضوع المتعلق بنقد العلمانية، وتلك التوجهات الناقدة لها في الواقع الغربي ذاته من أجل الوصول للصيغ الأفضل في الغرب وخارجه، راجع بحث كاتب هذه السطور: العقل العربي والعقل الغربي: نظرية التداعي ومجرة المفاهيم المتعلقة بمفهوم التسامح في حوار الأديان والثقافات، دراسة مستقبلية.

قائلاً: «إننا نضعف حجج أصدقائنا في الغرب عن طريق اللافعل أو الفعل السلبي»، واقترح علاجاً طويل الأجل لسلبيات التفاعل، التي يجسدها الخطاب العربي الإسلامي الموجه للغرب.

المتحدث السابع: د. دومنيك شيفالييه (فرنسة)، قدم د. دومنيك شيفالييه من وجهة نظره عدة حجج، يراها أساسية لنجاح الحوار في الغرب والمتمثلة فيما يلي:

الحجة رقم ٩ في مسار النقاش: حجة تجنب الخطاب الديني العقائدي والتركيز على مشاكل العالم المشتركة

يقترح شيفالييه ألا يكون الحوار مع الغرب على المستوى الديني، بل أن تكون بؤرة التركيز على حوار الثقافات وقضاياه الممتدة. (فماذا عن خطورة قصر الحوار على هذا البعد المليء بالمخاطر؟).

وأفاد بأن الحوار في موضوعات غير الموضوعات الدينية هو الحوار المجدي حقاً... وأن هذا ما تفيده خبرته على مدى خمسين عاماً مع مسلمين هنا وهناك..

الحجة رقم ١٠ في مسار النقاش: حجة التفريق بين الإرهاب والمقاومة

وتتمثل وجهة نظر شيفالييه في السؤال التالي المطروح: ما الفرق الجوهري بين (الإرهاب) و (المقاومة)؟ ومتى تبدأ كلمة (الإرهاب)، ومتى تبدأ كلمة (المقاومة)، والعكس.. وماذا عن معضلات هذا الأمر؟

ولقد استرسل د. شيفالييه في محاولة التفريق بين مفهومي (الإرهاب) و (المقاومة)، فالعراقيون يقولون إنهم يقاومون، وإن أفعالهم هي مقاومة وليست إرهاباً، والأمريكيون يقولون بالعكس، وحدثت مداخلات في هذا الموضوع خاصة من د. جعفر عبد السلام؛ الذي ناقش د. شيفالييه في قناعاته بخصوص هذا الأمر، وأكد على مشروعية مقاومة أي محتل من

قبل أي دولة تحتل؛ طبقاً لمعطيات القانون الدولي، وطبقاً لكل الأعراف الدولية والتاريخية.

الحجة رقم ١١: حجة اهمية ان يكون الخطاب بين الإسلام والغرب نابذاً لكل أشكال العنف:

إن الحوار لابد أن يستمر، وأن يكون منفتحاً، وأن ينبذ كل أشكال العنف من هنا، فإن التسامح هو المفهوم المحوري اللازم لفكر التعددية وحوار الثقافات والأديان.. (فما الذي استقر عليه الأمر لفهم هذا المفهوم المحوري والمركب، خاصة في تفاعل حوارات الثقافات والأديان)، وخاصة في إطار تفاعلات مؤتمرنا هذا؟

وهنا، وفي إطار هذه الحجة، قال د. شيفاليه: إنه ليس ممن يمتدحون خطب الرؤساء عادة، إلا أنه يود أن يشيد في سياق هذه الحجة بكلمة السيد رئيس الجمهورية - محمد حسني مبارك - الموجهة للمشاركين في المؤتمر، لتأكيد كلمة سيادته على هذا المضمون، مشفوعاً بأهمية احترام خصوصية وثقافة كل شعب وكل دولة وسيادتها، ونبذ أسلوب فرض الوصاية، أو الأجندات غير المتوافقة مع الخصوصيات.

المتحدث الثامن: د. محمد بشاري (فرنسة)، تناول د. محمد بشاري في طرحه عدة أمور، وناقش عدداً من الحجج السابق ذكرها، وأضاف حجة امتدادية ذات شقين تتمثل في:

الحجة رقم ١٢ في مسار النقاش: حجة اهمية التخلي عن الثنائيات الإطلاقية في الخطاب العربي الإسلامي

يقول د. بشاري متسائلاً: إن من أكثر مشاكل الأداء في الواقع العربي الإسلامي أسلوب (الثنائيات الإطلاقية Absolutist dualities) في خطاب الواقع الإسلامي العربي المعاش، وهو الأسلوب الذي لا يتيح الرؤية

الأعمق ذات الأبعاد المتعددة.. إلا أن هناك مع أمثلة الفشل أمثلةً للنجاح عندما نمتلك الرؤية الأعمق المتعددة الأبعاد، فما السبيل إلى التغلب على السلبيات التفاعلية القائمة في هذا الصدد؟

وهنا استرسل د. محمد في تناوله لأمور تتعلق بتحرير المفاهيم، وانتقد تلك (الثنائيات الإطلاقية) التي يتسم بها الخطاب العربي الإسلامي، والتي لا تناسب تعقيدات الواقع، والمستويات المركبة لعلاج مشكلات آخذة في التعقيد، كما انتقد الفكر الفقهي المتجمد، الذي يدعي أصحابه إلى اليوم وجود (دار الحرب) و (دار السلام)، وأشار إلى أحد أبحاث د. جعفر عبد السلام، التي تناولت بالتفنيد أمثلة لهذا الفقه المتجمد، وغيرِ المساير للواقع المعاش اليوم. كما تطرق للحوار الساعي إلى إيجاد وتشكيل أرضية مشتركة مع جماعات كثيرة في الغرب تناهض العولمة وتقف معنا في كثير من القضايا..

المتحدثة: د. فوزية العشماوي (سويسرة)، وحجتها تتمثل في:

الحجة رقم ١٣: حجة اهمية مواجهة الآثار المدمرة لترويج مقولة "الخطر الإسلامي الأخضر"

تقول د. فوزية العشماوي إنه لابد من السعي لاحتواء الآثار المدمرة لمفهوم "الخطر الإسلامي على الغرب وعلى العالم"، الذي تروج له الدوائر المعادية. (فما الوسائل الفعالة؟).

كما طرحت د. فوزية الحجة التالية:

الحجة رقم ١٤: حجة أهمية التصدي للمعلومات وللصور الخاطئة عن الإسلام في الغرب

لابد من تجنب إظهار أي صور مغلوطة عن عداء المسلمين للمسيحيين واليهود، لأن الإسلام لا يعرف العداء للأديان.. وإنما العداء

يكون للمعتدين، ولكل فكر استعماري عدائي كالصهيونية... (فما الذي ينبغي عمله لتجنب مسلسل أخطاء الممارسة عند البعض في العالم الإسلامي؟)

ولقد أضافت د. فوزية العشماوي الحجة التالية:

الحجة رقم ١٥: اهمية وضع تصور إسلامي لواقع المسلمين في الغرب بعيداً عن الذوبان التام أو التطرف

تتساءل د. فوزية قائلة:

ما السبيل إلى تنمية الخطاب الديني بخصوص التعامل مع تفاعلات الجيل الثاني من الجاليات الإسلامية في الغرب، الذي يرى فيه البعض أن الحل هو الذوبان والاندماج التام في القيم الغربية، وأن البعض الآخر يفهم أن الإسلام هو الإسلام "الأصولي"، بالمعنى المتطرف فقط للكلمة؟ فماذا عن تداعيات هذا الأمر والتعامل معه؛ ليس في الغرب فقط، ولكن في العالم الإسلامي كذلك... وعلى صعيد تفاعلات الجاليات العربية الإسلامية في الغرب.

المتحدث: السفير نبيل بدر، علق السفير نبيل بدر على عدد من الحجج السابق ذكرها، وقدم عدة حجج انتقالية في مسار النقاش وهي:

الحجة رقم ١٦: حجة اهمية فهم الفرق بين أوربة وامريكة

تحاول الولايات المتحدة جرّ أوربة لتبني كل وجهات النظر الأمريكية فيما يتعلق بالإسلام، وبالعالم العربي الإسلامي... وهناك فرق بين الاثنين.. أي أوربة وأمريكة في النظرة إلى العرب والمسلمين، فما السبيل أو السبل لمنع جر أوربة إلى تبني الموقف الأمريكي الخاطئ، والمفتعل في كثير من جوانبه، عن الإسلام؟

الحجة رقم ١٧: حجة التعامل مع فكر المسيحيين المتصهينين البالغ الخطورة على المسلمين وعلى العالم كله

يقول السفير نبيل بدر: إن فكر المسيحية الصهيونية في انتشار مستمر، مما يشكل خطورة كبيرة على العالم العربي والإسلامي... فما السبيل للتعامل مع هذا الفكر العدائي.. خاصة في ظل وجود مئات من قنوات التبشير التي تبث ليل نهار موضوعات عن المعركة الكبرى الهرماجدون + بناء المعبد على أطلال المسجد الأقصى + عودة المسيح عليه السلام، بسبب تفعيل ما تنادي به وتسعى إليه حركة المسيحيين الصهاينة (فما الذي ينبغي عمله في هذا الاتجاه؟).

كما تحدث السفير نبيل في إطار الحجتين أعلاه على مفهومَي (الشرق الأوسط الكبير)، و (الشرق الأوسط الصغير)، والتفريق بين الموقفين الأمريكي والأوربي في هذا الصدد، ونبَّه إلى السعي الأمريكي للضغط على الأوربيين، كي يتبنوا النهج والرؤية الأمريكية المغلوطة والخاطئة تماماً، كما أشار إلى خطورة حركات (المسيحية الصهيونية)، وحجم الإعلام المستخدم من قبلها (٣٠٠ قناة لا تذيع سوى موضوعات عن المعركة الكبرى الهرماجدون + هدم الأقصى وبناء المعبد + عودة عيسى عليه السلام للأرض...) وتساءل عن كيفية التصدي لهذا الفكر، والتعرف على الوسائل المتاحة في هذا الصدد.

المتحدث: د. يحيى عبد الواحد بلافيتش (إيطالية)، أشار د. بلافيتش إلى عدة حجج طرحها د. شيفالييه (فرنسة) وشكره عليها، كما علق على الحجة (رقم ١) للدكتور زكي بدوي بشيء من الاختلاف في الرأي، قائلاً: إن تعريف (التقدم) و (التخلف) يحتاج إلى إعادة اعتبار، فالبشر، والثقافات، والدول لها مجالات وقيم تقدم، والعكس، والكل مشترك في ذلك.

وطرح الحجج التالية: (١٨، ١٩، ٢٠، ٢١):

الحجة رقم ١٨: حجة التعامل مع الفكر الغربي الخطير المتمثل في إصلاح الإسلام

"إن فكر (الإصلاح المراد) هو فكر خطير في أحد جوانبه، لأنه مصطلح يتخفى من ورائه بعض الذين يقصدون (إصلاح الإسلام Reforming Islam) أو كما يذهب بعضهم إلى القول: "بإيجاد صيغة جديدة للإسلام "ANew Form of Islam"، فكيف السبيل للتعامل مع هذا الأمر الخطير، وكشفه، والتفريق الحاسم بين الاجتهاد وبين الإصلاح، وتوضيح أن (الكاثوليكية الجديدة) في التاريخ الغربي لا يمكن أن تكون سابقة يفهم من خلالها الغرب بوجوب أن يحدث للإسلام ما حدث للكاثوليكية الجديدة"؟

الحجة رقم ١٩: اهمية توسيع نطاق الحوار الإسلامي المسيحي إلى حوار ثلاثي؛ بين المسيحيين والمسلمين واليهود

يقول د. يحيى متسائلاً:

ماذا عن أهمية تبني بعضهم لأن يتخطى الحوار الديني المبدأ الثنائي ليكون ثلاثياً، أي بين المسلمين، والمسيحيين، واليهود؟ وهل هذا مطلوب، أم الأفضل حوار ثقافي وغير ثقافي بدلاً من كونه "حوار أديان"؟

الحجة رقم ٢٠: أهمية تدشين حوار إسلامي/ إسلامي ديني لتوحيد فهم العالم العربي الإسلامي بخصوص قضايا بعينها للتعامل مع الغرب بخصوصها

يقول د. يحيى: لقد أثبتت الأحداث أن هناك حاجة ماسة إلى حوار ديني إسلامي، أي "Intrafaith Dialogue" لتوحيد فهم العالم العربي الإسلامي للإسلام وثقله، وقيمه المعتدلة الحقيقية المتوازنة للغرب وللعالم، دون شطحات فردية مارقة عن طبيعة الإسلام السمحة.. فما السبيل والوسيلة والقناة لمثل هذا النوع من الحوار؟

الحجة رقم ٢١: أهمية توحيد استراتيجيات الرد على المعلومات والصور الخاطئة عن الإسلام بين أقطار العالم العربي والإسلامي

يقول د. يحيى: لقد أصبح الحوار الإسلامي في الغرب أيضاً حاجةً ملحة لتوحيد استراتيجيات التعامل مع الحملة ضد الإسلام في الغرب، وفي إحداث الاندماج الإيجابي، والمطلوب لتصحيح صورة الإسلام والمسلمين في الغرب؛ فما السبيل إلى تحقيق هذه الغاية؟

أي إن السؤال الرئيس المطروح في إطار هذه الحجة هو: ما عناصر تلك المعادلة التي ينبغي ضبطها لتصحيح صورة الإسلام والمسلمين في الغرب؟

الحجة رقم ٢٢: أهمية أن تركز الحوارات الدينية على المشاكل والقضايا العامة المشتركة

ذكر د. عبد الله رضوان أنه، وطبقاً لخبرته الطويلة في حوار الأديان، خاصة مع الفاتيكان؛ فإنه يفضل أن تركز حوارات الأديان على القضايا العامة المشتركة، بدلاً من الدخول في حوارات تتعلق بالنصوص الدينية، أو ما يسميه كاتب السطور "بالنص الديني المغلق الخاص بكل ديانة"... وإن كان هذا ضرورة في بعض الأحيان، فلتكن هناك لجان خاصة لهذا الغرض... والسؤال المحوري المتعلق بهذه الحجة هو: "كيف نصوغ الأرضية المشتركة بخصوص القضايا المشتركة، وما أولويات الطرح في هذا الصدد؟".

الحجة رقم ٢٣: أهمية تدشين القناة التفاعلية المؤثرة بين العالم العربي الإسلامي والغرب

أثار هذه الحجة د. محمد المصري، وهي المتمثلة في السؤال التالي: ماذا عن قناة التفاعل المستمر؟ إن أهمية أي حوارات من النوع

الذي نتحدث عنه يستلزم إيجاد أو إنشاء قناة وأوعية تفاعل ذات صيغة مستمرة، ولماذا لا تتمخض من هذا المؤتمر لجنة بخصوص هذا الأمر "Adhoc Commity".

وأضاف شاندور فورد إلى حجة د. المصري السؤال التالي: كيف يمكن توفير المعلومات السليمة والصحيحة لدى الجمهور الغربي حول قيم الحضارة الإسلامية، لأن غياب هذا الأمر يعد من أخطر العوامل التي تساهم في تكوين الصورة السلبيَّة للإسلام لدى الرأي العام الغربي؟ ولماذا لا يتم إنشاء صندوق خاص، في إطار المؤسسات الدولية العربية أساساً، من أجل مساعدة الفعاليات والأنشطة الثقافية بتعاون محتمل مع الاتحاد الأوربي، من أجل نشر المعلومات الصحيحة عن الإسلام وقيم الحضارة الإسلامية.

الحجة رقم ٢٤: أهمية إعداد المدربين الخبراء من ذوي الفاعلية الخاصة للتعامل مع صعوبات التواصل عبر الثقافات

أثار د. محمد شامة هذه الحجة في شكل السؤال التالي:

إذا كان الحوار، خاصة موضوع الحوار عبر الثقافات والأديان؛ بحاجة إلى مستوى معين رفيع، مع فهم عميق للثقافة العربية الإسلامية، وكذلك لمفاتيح الخطاب الثقافي المؤثر عند أهل الثقافة التي نخاطبها، فكيف نعد فِرَقنا في هذا الصدد؟ وكيف نصل إلى رجل الشارع في الغرب، وفي الثقافات الأخرى التي نسعى لمخاطبتها بشكل مؤثر وفعال؟!

وفيما يلي هذا الجدول (رقم ٢) المعبر عن تحليل مسار تفاعل الحجج في هذا الجزء المحوري من بيانات الدراسة للخبراء الدوليين المشاركين في الوقائع التفاعلية المشار إليها آنفاً.

الجدول (رقم ٢) المسار التحليلي لتفاعلات الحجج وتبادلها بين الخبراء الدوليين (ملف البيانات #٢)

١	حجة الشمال والجنوب (د. زكريا بدر - بريطانية)
٢	حجة أهمية التعامل مع الخطاب الإقصائي في العالم العربي الإسلامي (د. مراد هوفمان - ألمانية).
٣	حجة أهمية التعامل مع الخطاب الانتصاري والهروبي واللافاعل في العالم العربي الإسلامي (د. مراد هوفمان - ألمانية).
٤	حجة أهمية التعامل مع اللاتسامح الغربي خاصة مع العالم العربي الإسلامي (د. يوهان مارتي - النمسة).
٥	حجة نجاح (الوصفة العلمانية) (دومنيك شيفاليه - فرنسة).
٦	حجة التساؤل عن حقيقة نجاح العلمانية - خاصة في العالم العربي الإسلامي (د. مارتي ود. وجيه).
٧	حجة التساؤل حول حقيقة أن العلاقة هي علاقة الشمال الغنيّ بالجنوب النامي وأهمية استنهاض الطاقات ودور المرأة (د. محمد المصري - كندة).
٨	حجة أهمية التوقف عن إهدار الفرص في العالم العربي (د. مصطفى تسيريتش (البوسنة والهرسك)).
٩	حجة تجنب الخطاب الديني العقائدي والمناظرات الدينية عبر الثقافات والتركيز على مشاكل العالم في حوار الإسلام والغرب (د. دومنيك شيفاليه (فرنسة)).
١٠	حجة أهمية التفريق بين الإرهاب والمقاومة المشروعة ضد الاحتلال (د. جعفر عبد السلام - مصر) و(د. شيفاليه فرنسة).
١١	حجة أهمية أن يكون الخطاب بين الإسلام والغرب نابذاً لكل أشكال العنف وإذكاء التعددية (د. شيفاليه - فرنسة).

حجة أهمية التخلي عن الثنائيات الإطلاقية في الخطاب العربي الإسلامي (د. محمد بشاري - فرنسة).	١٢
حجة أهمية مواجهة الآثار المدمرة لترويج مقولة (الخطر الإسلامي الأخضر) (د. فوزية العشماوي سويسرة).	١٣
حجة أهمية التصدي للمعلومات وللصور الخاطئة عن الإسلام في الغرب وكذلك لمسلسل الأخطاء من العالم العربي الإسلامي معاً (د. فوزية العشماوي (سويسرة)).	١٤
حجة أهمية وضع تصور إسلامي لواقع المسلمين في الغرب بعيداً عن الذوبان التام في الغرب أو التطرف (د. فوزية العشماوي).	١٥
حجة أهمية فهم الفرق بين أوربة وأمريكة وتحديد السبل لمنع جر أوربة الأكثر تفهماً إلى الموقف الأمريكي الخاطئ (السفير نبيل بدر - مصر).	١٦
حجة أهمية التعامل مع فكر المسيحيين المتصهينين البالغ الخطورة على المسلمين والعالم كله (السفير نبيل بدر - مصر).	١٧
حجة التعامل مع الفكر الغربي الخطير المتمثل في (إصلاح الإسلام) (د. يحيى عبد الواحد بلافيتش (إيطالية)).	١٨
حجة أهمية توسيع نطاق الحوار الإسلامي المسيحي إلى حوار ثلاثي بين المسيحيين والمسلمين واليهود (د. يحيى بلافيتش (إيطالية)).	١٩
حجة أهمية تدشين حوار إسلامي/ إسلامي ديني لتوحيد فهم العالم الإسلامي بخصوص قضايا بعينها في التعامل مع الغرب (د. يحيى بلافيتش (إيطالية)).	٢٠
حجة أهمية توحيد استراتيجيات الرد على المعلومات والصور الخاطئة عن الإسلام في الغرب بين أقطار العالم العربي والإسلامي (د. يحيى بلافيتش (إيطالية)).	٢١
حجة أهمية أن تركز الحوارات الدينية على المشاكل والقضايا العامة المشتركة (د. عبد الله رضوان - مصر).	٢٢

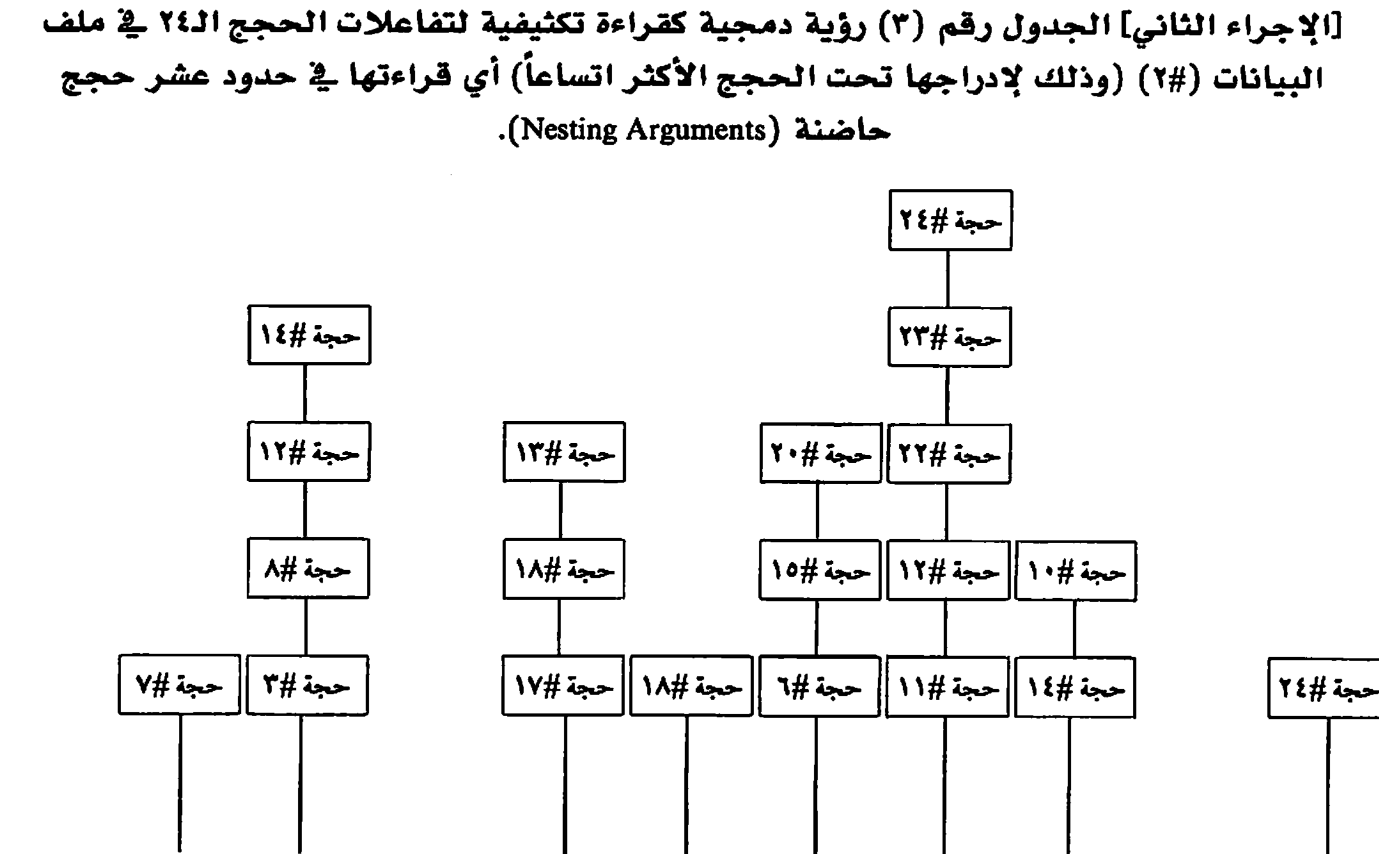
حجة أهمية تدشين القناة التفاعلية المؤثرة بين العالم العربي والغربي (محمد المصري - كندة).	٢٣
حجة أهمية إعداد المدربين والخبراء ذوي الفاعلية الخاصة للتعامل مع صعوبات التواصل عبر الثقافات وفي موضوع الإسلام والغرب (د. محمد شامة - مصر).	٢٤

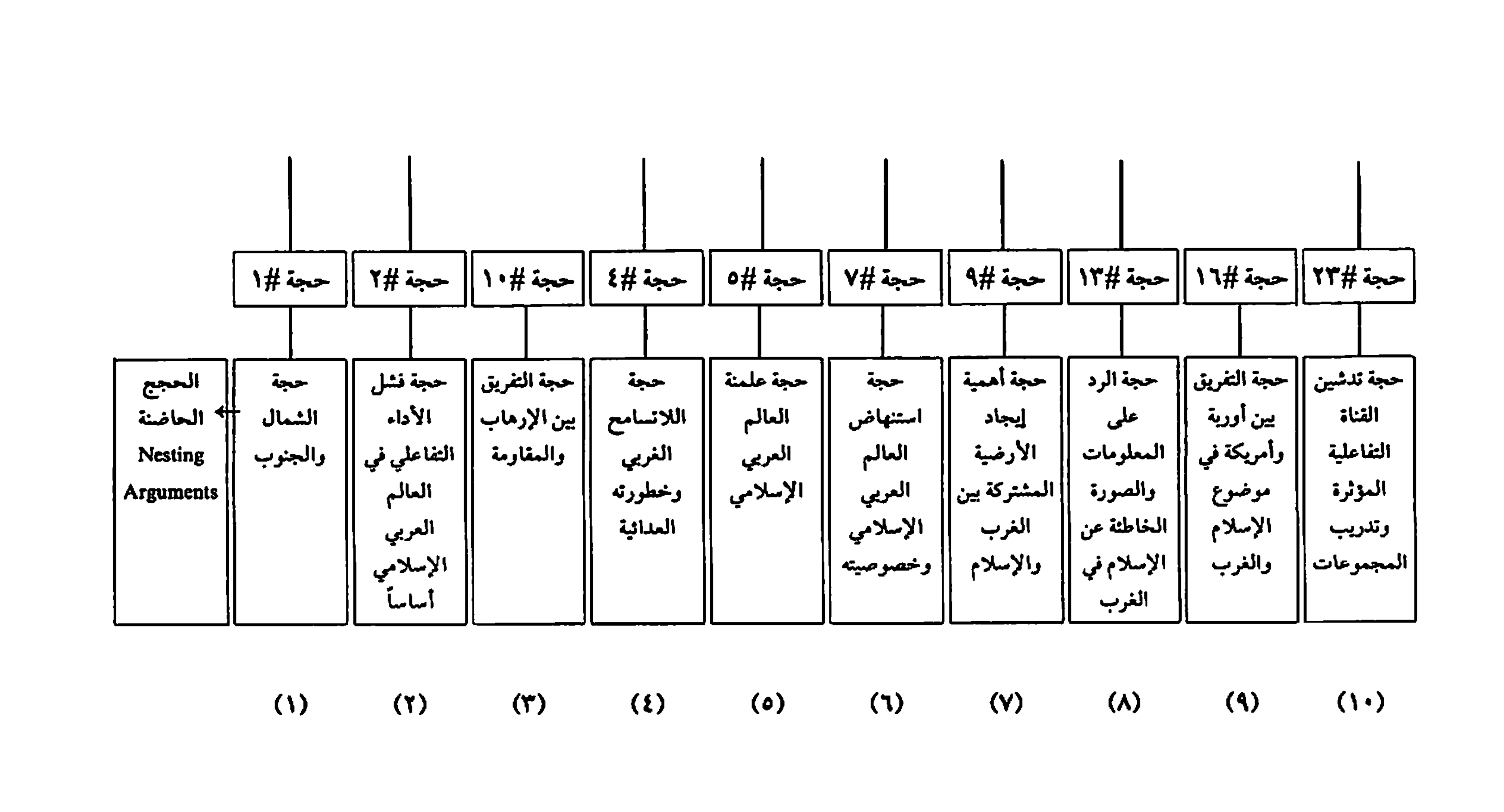
- **الإجراء الثاني: الدمج التشابهي للحجج تحت حجج السيناريوهات ذات النطاق الأوسع بالخريطة الذهنية المتضمنة في الإجراء الأول**

يمكن دمج الحجج التفصيلية تحت رؤوس حجج السيناريوهات الحاضنة والأكثر اتساعاً.. أي إن التصنيف ينتقل من الرصد المعبر عن حجج الخبراء ليتم في إطار من الحجج/ السيناريوهات الحاضنة Nesting Arguments/Scenrio أي الأكثر اتساعاً وشمولاً، والحجج/السيناريوهات المحتَضَنة (أي التي تدخل تحت الحجة/ السيناريو الأكثر اتساعاً وشمولاً) (Nested Argument/ Scenario).

ونقدم من خلال الجدول التالي عشر حجج Nesting Arguments يندرج في إطارها الحجج المحتضنة Nested (الـ ٢٤ في الخريطة الذهنية الموضحة في الجدول رقم (٢) السابق).

[الإجراء الثاني] الجدول رقم (٣) رؤية دمجية كقراءة تكثيفية لتفاعلات الحجج الـ٢٤ في ملف البيانات (#٢) (وذلك لإدراجها تحت الحجج الأكثر اتساعاً) أي قراءتها في حدود عشر حجج حاضنة (Nesting Arguments).





حجة #١
حجة الشمال والجنوب
(١)
حجة #٢
حجة فشل الأداء التفاعلي في العالم العربي الإسلامي أساساً
(٢)
حجة #١٠
حجة التفريق بين الإرهاب والمقاومة
(٣)
حجة #٤
حجة اللاتسامح الغربي وخطورته العدائية
(٤)
حجة #٥
حجة علمنة العالم العربي الإسلامي
(٥)
حجة #٧
حجة استنهاض العالم العربي الإسلامي وخصوصيته
(٦)
حجة #٩
حجة أهمية إيجاد الأرضية المشتركة بين الغرب والإسلام
(٧)
حجة #١٣
حجة الرد على المعلومات والصورة الخاطئة عن الإسلام في الغرب
(٨)
حجة #١٦
حجة التفريق بين أوربة وأمريكة في موضوع الإسلام والغرب
(٩)
حجة #٢٣
حجة تدشين القناة التفاعلية المؤثرة وتدريب المجموعات
(١٠)
الحجج الحاضنة Nesting Arguments

يتضح من الجدول رقم (٣) والذي يعبر عن الإجراء البحثي الثاني في إطار التعامل مع بيانات الملف رقم (٢) (الجزء الثاني من الدراسة) لهذه الدراسة أن هناك أوزاناً ورؤىً وزوايا للطرح ركز من خلالها كل خبير على حجة أو مجموعة من الحجج الموجهة لزاوية بعينها على أنها أخطر وأهم الخيوط للإمساك بها وفي الحقيقة لا يمكننا من خلال هذا اللقاء أن نقول إن زاوية الأرضية المشتركة مثلاً هي الأهم في وضعنا للأجندة أكثر من أهمية حجج الفشل في آراء الإسلام أو الغرب؛ لأن الأرضية المشتركة حازت على (٦) حجج من الاهتمام بينما حاز موضوع معالجة الفشل في الأداء العربي الإسلام على (٥) حجج، وبالتأكيد ليس هذا ما نسعى إليه لأن ذلك كان يحتاج إلى دراسة إحصائية كبرى وقد لا تكون بالضرورة مفيدة لنا، الأهم الذي نقصده هنا من تفاعل الخبراء هو أن كُلّاً منهم قد عبر عن زاوية بغض النظر عن وضع أوزان إحصائية لها، ولاشك أنها تُستكمل من رؤى الخبراء الآخرين، وأن كل زاوية من الـ ٢٤ حجة التي تم رؤيتها في الجدول رقم (٢) (الإجراء الثاني لتحليل ملف الدراسة #٢) قد أتاح لنا دمجها في عشر زوايا أو حجج حاضنة (كما في الجدول رقم ٣).

ويمكن لأي باحث أن يعتبر أن الحجج العشر المدمجة (المقدمة في الجدول رقم ٣) على أنها حجج معبرة عن أنماط خطابات عشرة يمكن جمع مزيد من البيانات في إطارها بما يسمح بتناول كل منها في رسالة دكتوراه، أو في أبحاث أخرى مكشفة فكل حجة حاضنة Nesting Argument تعتبر في إطار ما يسميه ويسعى لتطويره خبراء تحليل الخطاب (بقواعد المطارحات/ الخطابات) Grammar of Discourse جملةَ الخطاب المحوري، تماماً كالجملة المحورية أو الأساسية في الفقرة المكتوبة أو ما يُعرف بـ "A lead sentence".

والدلالة التي قد نراها مهمة من خلال رصد الحجج العشر الحاضة التي توصلنا إليها بتحليل الملف #٢ في هذه الدراسة هي أن أقل الاهتمام في ذلك التفاعل كان فيما يتعلق بتشييد القناة التفاعلية الإيجابية بين الغرب والعالم الإسلامي، والتي ينبغي تشييدها بحيث تكون لها خصوصية مختلفة عما هو قائم، من حيث شغرها بفاعلين ومجموعات مدربة على أعلى درجة؛ لأن هذا من الأمور المفتقدة إلى أبعد الحدود، فهناك حجتان فقط من الـ ٢٤ قد أثارت هذا الموضوع الذي تعتبره هذه الدراسة من الأولويات في الاهتمام برفع مستوى تفاعلات الدول العربية الإسلامية مع الغرب ومع العالم كله... وسنتناول المزيد من تفاصيل هذا الأمر في إطار المنظور الذي تتبناه هذه الدراسة في الجزء الثالث والأخير منها.

إن هذه الحجج الحاضنة العشر بدورها الأساس المحوري لصياغة وبناء سيناريوهات دقيقة، تمكننا من رؤية آفاق الصورة الاستراتيجية ومتطلبات التحرك نحو تلبية تفعيلها على أرض الواقع لمصلحة أجندتنا الاستراتيجية العادلة، ولمصلحة الجميع، ولمصلحة استقرار ونماء وكرامة الإنسان في هذا العالم؛ لأنها أجندة تنطلق من التحليل الموضوعي والمقاصد الكبرى للإسلام معاً.

من هنا نلخص الإجراءات التحليلية التي قمنا بها في الشكل التالي (رقم١).

شكل رقم (١)
صورة الإجراء التحليلي

١) تحليل الحجج ووضعها في إطار مسار التفاعل الحادث في الحوار

↓

٢) دمج الحجج المحتضنة في (١) Nested Arguments (٢٤ حجة) إلى حجج محتضنة Nesting Arguments (عشر حجج)

٣) صياغة وبناء السيناريو Scenario Building ويتم ذلك من خلال الحجج الحاضنة Nesting Arguments التي يمكن اعتبارها الأساس المكون للسيناريوهات الثلاثة الرئيسية التي سنوضحها في الجدول رقم (٤)

ونفصل هنا في النقطة الثالثة في الشكل السابق (رقم ١) لتوضيح الصورة الاستراتيجية المستهدفة من دمج الحجج الـ ٢٤ إلى عشر حجج حاضنة، تمثل بدورها عناصر سيناريوهات ثلاثة تحدد العلاقة مع الغرب ومستقبلها في إطار ما يسمى بحوار الحضارات/ الأديان/ الثقافات.

فإذا كانت الحجج السابقة في مجملها تتعلق بأهمية التحرك نحو تصحيح الصورة السلبية وغير الصحيحة عن الإسلام في الغرب، خاصة بعد تداعيات ما سمي "بالحرب العالمية ضد الإرهاب"، فإنه يتعين علينا صياغة السيناريو المعياري (Normative Scenario) الذي ينبغي صياغته وتدشينه، ليس فقط من قبل المعنيين في هذا المؤتمر الدولي الكبير المنعقد؛ بل وتوحيد كل الجهود المبعثرة وغير الممنهجة في العالم العربي الإسلامي وفي العالم أجمع، للتأكيد على عناصر مثل هذا السيناريو الذي

يتعين علينا تفعيله وتحويله إلى حقائق على أرضيات التفاعل على أصعدة الساحة الدولية، وربطه بقنوات تفاعلية مؤثرة لمصلحة الجميع. من هنا كان لابد من رصد سيناريوهات ثلاثة: الأول يتعلق بالسيناريو المعياري الإيجابي المذكور والمراد تفعيله، ورصد عناصر السيناريو رقم (٢) المضاد الذي ينبغي احتواؤه، والسعي إلى إفشاله، ومنع أصحابه من تحقيق أغراضهم المؤدية إلى الصدام والاحتقان بين الثقافات والحضارات، وكذلك يتعين علينا رصد السيناريو الثالث -الراهن- وهو سيناريو التأرجح والجهود الفردية الناجحة أو الفاشلة، والمبعثرة وغير المتراكمة من ناحية، وسيناريو إضاعة فرص جيدة من قبل بعض آخر غير متمكن من إدارة الحوارات عبر الأديان والثقافات لقلة التدريب والمهارات، بالإضافة إلى الإخفاق في إحداث التراكم نحو أجندة استراتيجية متفق عليها بين الأطراف، وهذه حقيقة مؤسفة ومثبوتة مع الأسف... وهو أمر يجعل المحصلة من الحوار ضعيفة للغاية، بل إنني أزعم أن كثيراً من حوارات الحضارات -إلى الآن- قد أدت في نهايتها عكس ما كان يتوخى منها. ولعل من المهم أن نرصد هنا السيناريوهات الخاصة لتفاعلات الإسلام والغرب Neating scenarios القائمة اليوم من خلال الجدول التالي:

الجدول رقم (٤)

السيناريوهات الحاضنة لتفاعلات الإسلام والغرب

س١: السيناريو المعياري الإيجابي	س٢: سيناريو الانزلاق للحالة العدائية.	س٣: سيناريو التارجح
أن ينجح الخطاب عبر الثقافات والأديان والحضارات والخطاب الإسلامي المسيحي أساساً في صناعة أرضية مشتركة صلبة ذات تأثير قوي ومتشابك في الساحة الدولية وتفاعلاتها، مبنية على العلم الراسخ المؤكد للقواعد المقصدية السامية للأديان، وخاصة الإسلام، من أجل تدشين منطلقات السلام العادل والتسامح بمعناه الإيجابي المؤسس على الاحترام المتبادل، والشرعية الدولية، والعلم بحقائق الأمور ومباراة يكسب فيها العالم أجمع، ويتعاظم فيها الدور الإيجابي للأديان، وحوار الثقافات وتحالف الحضارات لا صدامها.	أي أن ينجح خطاب اللاتسامح واختطاف الأديان والزج بها في مشاريع للفتن والحروب، ذات الأساس الديني والعرقي التي يريدها مفسدون ومتشددون ومتطرفون وجاهلون من كل لون سياسي، ومن خلفيات متعددة في عالمنا، ممن تخفوا وراء الأديان، ويقدمون أكبر الإساءة إليها، ويكون الوقود هو المزيد من التزييف والتشويه، خاصة للدين الإسلامي الذي يتعرض لحملة ضارية، وهو الأمر الذي يؤدي إلى توسيع الهوة بين دول العالم العربي الإسلامي والغرب.	أن يتأرجح العالم بين حالات اللانظام الجماعي واللاتراكم الإيجابي، فتظل الجهود فردية مبعثرة في أحسن الأحوال وغير ممنهجة، فيظل الناتج بين لحظات نجاحات غير جماعية، وغير متراكمة، ومؤثرة، ولحظات ينجح فيها أصحاب س٢، مما يجعل المحصلة ضعيفة وغير ذات جدوى حقيقية.

يتطلب هذا السيناريو : ترشيد حجة (الشمال الجنوب) (حجة #١). وتيسير التفاعل نحو علاقة أكثر عدلاً في كافة الاتجاهات خاصة الاقتصادية بحيث لا يقايض الاقتصاد بالتخلي عن قيم الخصوصية *** إدارة سيناريوهات الحجج الحاضنة رقم (٢) وما يستتبعها، وكذلك الحجج الحاضنة (#٢) (#٣) (#٥) (#٦) (#٧)	إدارة سيناريوهات العداء بمنعها من تحقيق التعبئة الدولية الجائرة وإيقاف حالة الاستعداء والاستقطاب السلبية، أي السعي لإدارة الحجج الحاضنة (#٣) (#٤) (#٨) (#٩)	يظل هذا السيناريو قائماً ومفعلاً في غياب القنوات التفاعلية المستمرة والإيجابية (الحجة الحاضنة رقم ١٠) وما يتبعها من حجج من حيث إعداد المجموعات المدربة وخدمة أجندة استراتيجية مشتركة بين العالم العربي الإسلامي والغربي ومؤسسة على الندية والمصالح المشتركة.

إن الاقتراب من تفعيل س١ المعياري أعلاه يحتاج إلى مجموعات مدربة تدريباً رفيعاً بعيداً عن التفاعل المعتاد وغير المؤثر، خاصة عند مخاطبة غير المسلمين، الذي يتسم أحياناً بأسلوب الوعظ والتحذير، والوعيد، أو يتسم في أحيان أخرى بعقلية المناشدة، والظهور بصورة الضحية... أو يتسم بالرؤية الأحادية التسلطية وعقليات الوصاية، وفقدان القدرة

على فهم الحقائق التفاعلية المهمة على أرض الواقع، وأهمها تلك الحقيقة الحوارية المهمة بأن أي حوار في العالم لكي يكون ناجحاً يجب أن نعي جيداً أن: نصفه لي، والنصف الثاني للطرف الذي أتحاور معه. نحن بحاجة إلى مجموعات مدربة، وهي بالتأكيد نادرة للغاية وغير متوافرة بالقدر المطلوب إلى الآن في العالم كله؛ في الغرب ذاته من حيث أن الكثيرين يفتقدون للحقائق وكذلك يفتقدون التقنيات التفاعلية عبر الثقافات، وترسخ روح المركزية العرقية الغربية Etho - centrism، وفي العالم العربي الإسلامي - حدث ولا حرج - المصيبة أكبر، من هنا يكون المطلوب تدريبَ وإعداد قدرات تفاعلية تتعامل مع منظور تكاملي مركب، يتفاعل بكفاءة مع حقائق الأمور على الأرض، ومع صراع الآراء والإرادات بنهج علمي أخلاقي وعقلاني عبر العالم كله، من خلال قناة خاصة لذلك تحقق ما أصفه بمنهج "ثقافة التفاوض الإيجابي" المنطلقة من المقاصد الكبرى للأديان، خاصة للدين الإسلامي الحنيف، وهو أمر يستلزم مزيداً من التدريب الشاق والجاد على مهارات متعددة يحتاج إليها رجال الدعوة، والدبلوماسية، والإعلام، ولقد أثبتت تفاعلات كثيرة هذا الاحتياج العاجل والملح، ولعل الأمثلة التفصيلية التي رصدناها في إطار رسم ملامح خطابات الخريطة الذهنية (في تحليلنا لملف التفاعلات رقم (١) في الجزء الأول من هذه الدراسة) يكون الدليل الواضح على ما نذهب إليه من خطورة الأخطاء على الجانبين؛ بسبب فقدان مهارات تفاعلية تقنية وخلفيات متعمقة، لفهم عمليات التواصل عبر الثقافات، فهذه المهارات من النوع المتجدد والمستمر، وهي حيوية وضرورية لتفعيل السيناريو المعياري المشار إليه، هذا بالإضافة إلى أهمية السعي لفهم وتجنب فخاخ الحوار والتفاوض عبر الثقافات؛ وأهمية السعي لتدشين قناة تفاعلية جديدة على مستويات الحوار وجهاً لوجه؛ وعلى مستوى الإعلام معاً، وهو الأمر الذي نتعرض له بمزيد من التفاصيل والأمثلة في الجزء الثالث من هذه الدراسة.

الجزء الثالث

المتطلبات التقنية الفعالة لإدارة الأجندات والسيناريوهات المتنازعة في حوار الثقافات من منظور لغويات التفاوض

نتناول في هذا الجزء الثالث من الدراسة أهم العناصر التي نراها المتطلبات التقنية الفعالة لإدارة الأجندات والسيناريوهات المتنازعة في حوار الثقافات، وهي كما يلي:

١. **إدراك مفهوم تفاعل النظم.**

٢. **فهم مستويات (الأرضية المشتركة).**

٣. **تجنب فخاخ الحوار والتفاوض وإدارة الأزمات.**

٤. **التعامل مع التحديات المستقبلية وتفعيل السيناريو المعياري المطلوب.**

من هنا سنحاول في هذا الجزء الذي يمثل ما نستخلصه من بحثنا هذا الإجابة عن الأسئلة التالية:

٣-١ ما المقصود بمفهوم (تفاعلات النظم Systems Dynamics)، ولماذا نوظفه في عملية تحليل الخطابات التي رصدناها في الخريطة الذهنية للخطابات ذات النطاق الأوسع في حوار الثقافات والأديان والحضارات؟

٣-٢ ماذا عن مفهوم (الأرضية المشتركة) Common Ground في إطار إدارة الأجندات والسيناريوهات المتنازعة؟

٣-٣ ماذا عن (فخاخ التفاوض وإدارة الأزمات؟) Negotiation & crisis Management traps وكيف يمكننا رؤيتها في إطار مادة (التفاعل) في حوار الثقافات والأديان والحضارات؟ وماذا عن فخاخ التأطير الخاطئ للإسلام خاصة في الغرب؛ ومستويات هذه الفخاخ في الأداء الغربي من خلال تحليل خطاب الأمير تشارلز على أنه ممثل للعقول المنصفة في عالمنا المعاصر؟

٣-٤ ماذا عن قناة الحوار والتفاوض وإدارة الأزمات الفعالة بعيداً عن الانحياز والاستقطاب والانفعال؟

٣-٥ ماذا عن تحديات المستقبل وتفعيل السيناريو المعياري المطلوب؟

٣-١: (تفاعلات النظم) Systems Dynamics

قدم Jay Forrester نظريته التطبيقية لحل المشكلات الصعبة تحت اسم "تفاعلات النظم" في معهد مستشوسيتس للتكنولوجيا الشهير MTT، وهو المعهد نفسه الذي يعمل به عالم اللغويات الشهير نعوم تشومسكي، ونظرية تفاعل النظم تقول "إن معظم الأحداث (والخطابات المتعلقة بها) في حياتنا تحدث بشكل دائري متزامن؛ وعليه ينبغي السعي لرسم خريطة ذهنية لفهم تفاعلات هذه النظم (الخطابات) ونمذجتها على شكل يحاكي ما يحدث في حقيقة تفاعلات الحياة"[1].

(١) لمزيد من التفاصيل راجع المرجع التالي:
Millet, Stephen & Edward Honton, A Manager's Guide to Technology Forecasting and Strategy Analyses Methods, Baltle Press, Columbus, Richard 1991 (P.17).

وينبغي أن تفهم العوامل المؤثرة على كل (حدث) (أو خطاب) على حدة، ثم توضح كل نطاقات الحلول Feedback لرؤية التأثيرات المتعددة لكل الأحداث (الخطابات) على بعضها بعضاً بما يمكن من التنبؤ بالتحرك السليم أو الأكثر سلامة...»[1].

ولقد حاولنا في هذه الدراسة، من خلال الخريطة الذهنية للخطابات المتنازعة أو المتعاونة في إطار حوار الحضارات/ الثقافات، أن نطبق جوهر نظرية تفاعلات النظم؛ التي يمكن أن نعتبرها الأساس الذي يمكن تطويره مستقبلاً في دراسة أخرى بشكل إحصائي بعد إدخال كل العوامل Variables الخاصة بكل خطاب، وتأثير كل خطاب في الآخر من خلال المعالجة الحاسوبية، ومن الواضح من خلال هذه النظرية أن نموذج (صدام الحضارات) مثلاً (النمط رقم (٤) في الخريطة الذهنية بالجدول رقم (١)) الذي يتم تغذيته عبر آلة الإعلام الغربية قد أوجد بدوره خطاب (اللاحوار واللاتفاوض) (النمط الخامس بالجدول رقم ١)، وقد ساهم في هيمنة أخطاء (مقصودة أو غير مقصودة) أخرى كما في حالات خطاب السجال الديني (رقم ١ بالجدول رقم (١))، وخطاب الكمائن (رقم ٢ بالجدول رقم (١)) وأن "خطاب المعلومات الناقصة" (٣ بالجدول رقم (١)) قد أثر في فعالية الخطابات، وكل هذه الخطابات أثرت سلبياً في خطاب الأرضية المشتركة الفعالة وخطاب موضوعات التفاوض الدولي في عصر العولمة.

ولكن الخطورة التي تنبه إليها هذه الدراسة تتمثل في أن نستسلم للوقوف على مربعات نموذج صدام الحضارات حيث تريد فئة ضالة، لا تعبر عن أغلبية الروح العامة لشعوب الأرض أن توقف العالم وتقوم بتعبئته على هذه المربعات... وهذه التعبئة (الجائرة) والمستفزة تتجه لتكون ضد عالمنا العربي الإسلامي... من هنا ومن باب التفاوض النضالي

(١) المرجع السابق، ص١٧.

المنطلق من القواعد المقصدية الكبرى للإسلام.. ومن منطلق السعي لتفويت الفرصة على مروجي مربعات الصدام الحضاري، وإصابتهم بحالة من الهزيمة النفسية التي تجعل البعض منا لا يرى المربعات التي ينبغي أن نقف عليها، تحاول هذه الدراسة من خلال تصنيف فهم نظم التفاعل التي نحن بصددها، والسعي للتعامل مع كل (نظام) أو كل (خطاب) من منطلق الصيغة الفاعلة المقاومة إيجابياً، وهو ما حاولنا توضيحه من خلال تذييل كل خطاب بأسئلة تتعلق بمزيد من الفهم ومزيد من ضبط المعادلات الخاصة بكل خطاب لمصلحة أجندتنا الوطنية في العالم العربي الإسلامي في زمن حروب الهوية التي تمر بها... وما يتطلبه ذلك من إعداد الفرق المدربة... التي نحتاج إلى أعداد كبيرة منها لإدارة صراعات مصيرية لا يمكن لأي مخلص أو منتم عضوياً لهذه الأمة أن يتركها في أيدي المندهشين أو المستقطبين والمحبطين أو العشوائيين، أو لديناميكيات "صدام الجهالات"[1] دون القيام بما نستطيعه من تدخل إيجابي.

٢-٣ فهم مستويات مصطلح "الأرضية المشتركة" في إطار إدارة الأجندات والسيناريوهات المتنازعة

يتحدث كثيرون عن مفهوم "الأرضية المشتركة" بمصطلحات بالعربية شاعت إلى حد كبير، مثل (المشترك الثقافي) وكأن الأمر (كالمشترك الكهربائي) الذي يوضع في (كوبس الكهرباء) وينتهي الأمر في غاية السهولة... ويتحدث آخرون عن المصطلح كما لو كان مفهوماً مستحيلاً وينتمي إلى العيش في (المدينة الفاضلة)؛ التي لا واقع لها في عالم اليوم... ولذلك ينتهي إلى القول بأنه قد: "وجد الأمر مستحيلاً،

(١) أطلق مصطلح (صدام الجهالات) المناضل والمفكر الراحل إدوارد سعيد في تعليقه على مفهوم (صدام الحضارات).

وليتصارع العالم وليكن ما يكون..!" من هنا كان من المهم التعمق أولاً في فهم مصطلح (الأرضية المشتركة) "Common Ground" أو الذي قد يكون أكثر تحديداً فيكون بالإنجليزية: Common Identification Ground وبالعربية نحت أو تعريف أو تحديد الأرضية المشتركة.

وإذا كان من المهم دائماً تعريف المصطلح بنقيضه، فإن نقيض المصطلح هو "أرضية الاشتباك" أو "أرضية تتسم بالحالة النزاعية والصراعية" ..Contested Ground. وطبقاً للمعنى الشائع لدى كثيرين فإن (الأرضية المشتركة) هي أرضية الحق والخير والجمال بين البشر، وهذا تعريف مثالي، ولا بد أن يكون وارداً لدى كل ذوي العقول الراجحة والمنصفة، إلا أن هناك صوراً أخرى لفكر الأرضية المشتركة، أي إن التعريف السابق ينطلق من حالة سلمية ونفسية سلمية، ولكن الأرضية المشتركة تكون مطلوبة في حالة السعي الأولي لوقف صراع دام؛ أو اختلافات عميقة، وكلمة (الأرضية المشتركة) تتسع لسياقات عديدة؛ فهناك مثلاً أبحاث عن (الأرضية المشتركة) لصانعي السيارات أو لصانعي أي شيء في لحظة معينة من لحظات تقلب الأسواق.

ومن منظور علم لغويات التفاوض، تدخل مسألة (الأرضية المشتركة) تحت أكثر من بند من البنود التقنية لعمليات التفاوض والحوار من مثل:

٣-٢-١ الأرضية المشتركة بمعنى النقطة الرئيسية في حاجة هذا الطرف أو ذاك Ground، وهناك كثير مما يقال عن هذا الموضع في إطار تحليل الحجج وتبادلها Argumentation.

٣-٢-٢ الأرضية المشتركة بمعنى أولويات نقطة البداية، وهنا نجد في لغة التفاوض جملاً عديدة من مثل "They completed the ground work for the first stage of the negotiation"، أي "لقد أكملوا العمل الأولي اللازم للمرحلة الأولى للتفاوض".

٣-٢-٣ بمعنى الأرضية الصلبة للجميع وليست الهشة أو الضعيفة now we stand on a solid ground نحن الآن نقف على ارضية صلبة.

٣-٢-٤ الأرضية المشتركة... هي أرضية خارج إطار النزاع تقف عليها الأطراف تمهيداً لحله.

٣-٢-٥ الأرضية المشتركة تتعلق بمفهوم مثل "قاعدة أرضية الانطلاق" أو "القاعدة الحاكمة" "Ground Rule" أي المبدأ الرئيسي أو العبارة الرئيسية أو الإجراء الرئيسي الذي يحكم موقفاً ما، من هنا تكون عبارة مثل عبارة "الأرض مقابل السلام" Land for Peace في عملية السلام في الشرق الأوسط مثلاً هي عبارة تساوي قاعدة حاكمة أو إجراء أساسياً متعيناً اتخاذه والالتزام به.

٣-٢-٦ الأرضية المشتركة في عرف اللغة والممارسة المنضبطة تساوي الوصول إلى ضبط معادلات بين الأطراف تحقق المصالح المشتركة؛ وهذا لا يمنع أبداً من الاحتفاظ بالاختلاف وبالتعايش في إطاره، وعدم السماح بأي تمييع طرف لهوية الآخر أو المساس بأي من معتقداته... أي ليس من (الأرضية المشتركة) في شيء - كما ذكرت في حوار لي في مقابلة مع الإعلام الألماني وفي فاعليات للحوار عبر الثقافات- أن يكون لدى البعض انطباع بصحة ما يُعرف في الثقافة الغربية "باللينونية" وما شابهها (نسبة لجون لينون) الذي كان يدعو للسمو والتسامي البشري وإبعاد الدين عن منطقة التفاعل الإنساني، وفي هذا رؤية غير إنسانية أو منطقية في حقيقة الأمر، سواء في الشرق الإسلامي أم في قطاعات واسعة من الغرب المسيحي، ولكن فليؤمن كل إنسان بما يراه، وليكن الدين - مع ذلك - هو القوة الإيجابية نحو التفاعل الإنساني الخلاق وإدارة علاقات نحو سعادة البشر وإدارة الاختلافات.

إذا حاولنا بعد كل هذا التقديم الأساسي لمفهوم (الأرضية المشتركة ونحتها أو صياغتها) فإن ذلك في إطار موضوع حوار الثقافات والحضارات (والأديان) له طبيعته الخاصة... فهناك (أرضية مشتركة) بخصوص كل سيناريو من سيناريوهات وأجندات الخريطة الذهنية التي قدمناها في هذه الدراسة، وهناك أرضية مشتركة في عمليات إدارة كل سيناريوهات حوار الثقافات والحضارات والأديان.

فهنا نتحدث عن مستويين ينبغي التعامل معهما في آن واحد وهما:

الأرضية المشتركة التي ينبغي نحتها في إطار كل سيناريو، وإدارة السيناريوهات المدعمة لفكرة الحوار الإيجابي والعادل، وهنا نجد مثلاً في حالة (سيناريو الحوار الثيولوجي) أنه ينبغي أن تكون الأرضية المشتركة هي السعي لترشيد المناقشات في هذا البعد بأساليب تبتعد عن المساجلة - كما ذكرنا - كما في حالات أحمد ديدات وجيمي سواجرت، أو ظهور القس زكريا على إحدى الفضائيات ليقدم مرئياته غير العلمية والمدمرة لأي حوار إيجابي، وفي حالة سيناريوهات المعلومات بأبعادها الناقصة والخاطئة والعدائية لابد من تكوين مرصد إعلامي لحوار الحضارات والثقافات يقوم بالرد الفوري على الأخطاء ويصححها، ويدين التجاوزات، وعلينا السعي المستمر لتفعيل وزيادة تأثير هذا المرصد من خلال دبلوماسية دولية للحوار تعبر عن رأي الأغلبية في العالم، وهذا جهد كبير مطلوب ومطلوب الشروع بالبدء فيه، فبداية الألف ميل خطوة صحيحة في الاتجاه الصحيح لمنع التعبئة الجائرة الحادثة اليوم التي ستؤدي إلى سيناريوهات الانفلات والفوضى الدولية.

٣ - ٣ فخاخ ومربعات التفاوض وخطابات الخريطة الذهنية التي يتعين علينا التعامل معها بحذر في موضوع حوار الثقافات والحضارات خاصة فيما يتعلق بالأبعاد النفسية

وهنا نتحدث عن عدة فخاخ تسمى في علم التفاوض بـ Negotiation Traps، وإذا طبقناها على بيانات ومحتويات سيناريوهات الخريطة الذهنية للخطابات المقدمة في هذه الدراسة (الجدول رقم ١) وجدناها عند محاولتنا للإجابة عن الأسئلة التالية:

٣-٣-١ فخ صدام الحضارات ومربعات التفاوض الخاصة به - حجة قيام الحربين العالميتين الأولى والثانية

تناولنا في سياقات عديدة سابقة أنماط الخطاب المتعلقة بنموذج صراع الحضارات بشيء من التفصيل[١]، ويكفي في سياقنا هذا أن نذكر بإيجاز أن نموذج الصدام الذي روج له هنتنجتون وبايبز وبرنارد لويس وغيرهم من باحثي "تفعيل النموذج"؛ يضع العالم في ثنائية تبسيطية ساذجة مفادها أن عالم قيم الحضارة والليبرالية والانفتاح سيكون معرضاً لهجمات من عالم الانغلاق والتزمت والعنف والإرهاب المتمثل في (الإسلام) و (العالم الإسلامي) أي إن الحروب القادمة هي "حروب ثقافية"، وبالطبع فإنَّ هناك عشرات الانتقادات البحثية والدبلوماسية لهذا الفكر التسطيحي والاختزالي المرفوض من أصحاب العقول الراجحة والمنصفة بل في عمق الداخل الأمريكي ذاته، ومن أقوى الحجج التي تثبت ضعف حجة هذا النموذج أن أكبر الحروب التي خاضها العالم

---

(١) حسن - وجيه، حسن، حروب الهوية ومستقبل التفاوض مع الغرب، المكتبة الأكاديمية، القاهرة ٢٠٠٢م، وكذلك كتاب العقل العربي والعقل الأمريكي إلى أين: معضلات التواصل ومعضلات السياسة، المكتبة الأكاديمية، القاهرة ٢٠٠٤.

(الحرب العالمية الأولى والثانية) كانت في داخل الحضارة الغربية ذاتها، وليست بسبب الأديان والثقافات بقدر ما كانت بسبب الأطماع وقصر النظر، ومبارايات التناحر الصفرية، وفساد النفسية، والأحقاد والكراهية والاندفاع الأحمق وراء المصالح الضيقة التي تذهب الأخضر واليابس عندما تصل ذروتها كما حدث في الحربين العالميتين الأولى والثانية .الفخ يتمثل أساساً هنا في القبول الساذج من قطاع من الغربيين لهذا النموذج والترويج له، خاصة من خلال قطاعات آلة الإعلام الغربية المستخدمة بأبشع صورها لترويج هذا النموذج. ومن أهم أسباب هيمنة هذا النموذج على ساحة الحوار هو اختطاف أمثال أعضاء القاعدة للدين الإسلامي، ووصمه بمعاداة أصحاب الأديان الأخرى، وهنا يتم - بقصد أو بدون وعي - التأكيد على صلاحية هذا النموذج بالتفاعلات السلبية المروجة له، والمستخدمة للترويج لهذا النموذج الصدامي. ومما دعم هيمنة النموذج الصدامي وجود خطابات اللاحواريين واللاتفاوضيين، أي الرافضين لأي حوار، خاصة في عالمنا العربي الإسلامي، لعدم رؤيتهم للقطاعات الأكبر؛ غير المؤثرة تماماً إلى الآن في العالم، والمناهضة لفكر الصدام الحضاري، التي تحتاج إلى التفعيل وإحداث التأثير... ومن ثمَّ تجدهم في نهاية المطاف يقفون على مربعات هنتنجتون وأمثاله من مروجي فكر الصدام... بدلاً من الرد العلمي للكشف عن ضعف وسذاجة هذا النموذج العدائي، وإنشاء رؤوس جسورٍ مع من يقفون على مربعاتنا المضادة نفسها للنموذج الصدامي، حتى ولو كان الأمر تحكمه دوافع مختلفة... فإن مثل هذا التحرك الإيجابي يمنع على الأقل التعبئة الجائرة ضدنا أو مزيداً منها.

كما أن التصدي يعني قيامنا بدور إيجابي تجاه أنفسنا بعمل ما أسميه "المصدات النفسية" اللازمة للتصدي لحرب نفسية شرسة ممنهجة توجه إلينا، ولا يجدي أسلوب (سيناريو النعامة) في مواجهتها.

٣-٣-٢ فخ البقاء في سجن الانطباع الأول والمعلومة الأولى، وفخ المعلومات الخاطئة والناقصة والمضللة
Anchor & Misinformation Trap

من فخاخ التفاوض المعروفة ما يُعرف بفخ سجن المعلومة الأولى Anchor Trap عندما يقع المفاوض أسيراً للمعلومة والانطباع الأول، ولا يستقبل - بسبب وقوعه في هذا الفخ - أي معلومات مستجدة تؤكد أو تنفي الانطباع الأول، وهذا الفخ يرتبط بفخ المعلومات بمستوياتها الخمسة التي تعرضنا لها بالتحليل وبالأمثلة التفصيلية في عرضنا لخطابات الخريطة الذهنية (الخطاب رقم ٣ بالجدول رقم ١) من الواقع الغربي ومن الواقع العربي الإسلامي، وهو الأمر الذي يحتاج منا إلى إنشاء مرصد إعلامي دولي يتعامل بإيجابية مع هذه الفخاخ، وهو الأمر الذي سنقدم له تفصيلات أخرى في دراسة أخرى مكملة لهذه الدراسة.

وفي هذا الإطار نذكر هنا ما يتعلق بالفخ الأول، أي "فخ نموذج صدام الحضارات" المشار إليه في (١) أعلاه، وهو ما يتعلق بالأداء الإعلامي العابث في الواقع الغربي المعروف، والذي تعرضنا له في سياقات سابقة، لنرصد هنا مثالاً للإعلام العابث وغير المدرك للصورة بأكلمها أو بنظرية مربعات التفاوض في واقعنا العربي الإسلامي، حيث ينبغي التعامل الإيجابي مع طبيعة مباراة تفاوض المربعات الراهنة التي تهدف إلى تعبئة جائرة ضد العالم العربي الإسلامي من ناحية، ووضعنا على مربع "الحالة الاحتقانية المندفعة إلى نفس اتجاه" إحداث وتفعيل نموذج (الصدام الحضاري) المرفوض من قبلنا؛ والمروج له من قبل دوائر العداء للعالم العربي الإسلامي. وهذه الدوائر تهدف إلى شن حرب نفسية تصل إلى أبشع مستوياتها بالهجوم المباشر على المعتقدات

الإسلامية التي تتضمن الهجوم على القرآن الكريم والإساءة الممنهجة لرموزنا الدينية؛ إما بهدف التشكيك في نظام القيم الأعلى لدينا أو لإحداث حالة من التحقير المتعمد. هنا إذا اندفع الإعلام في واقعنا العربي الإسلامي للوقوف على هذه المربعات فإنه إعلام عابث لا يُدار بالمستوى المتوازن المطلوب، أي ذلك الذي ينظر إلى ويغطي أنماط الخطابات العديدة الأخرى (غير المروج لها في دوائر إعلام محاربتنا) بهدف منع حملة المعلومات المضللة والجائرة التي تستهدفنا. فإذا ما قيمنا تفاعلات كثير من وسائل إعلامنا، وهو الأمر الذي أُعدّ له دراسة أخرى مكملة لهذه الدراسة، لوجدنا مؤشرات أولية سلبية للغاية، فلا يمر أسبوع إلا ونرى هذه "الجريدة الصفراء" أو تلك تنشر نصوص كتاب صدر في الغرب تعيد فيه - مع كل الأسف - أوصاف الشتائم والوقاحة الموجهة ضد نبي الإسلام محمد - أفضل الصلاة والسلام عليه- (وهنا نرى الهدف من الحرب التي تشن ضدنا يتحقق ويطلق عليه في مفردات حروب المعلومات Perfect Information War) أو "حرب المعلومات الناجحة إلى أبعد حد"؛ حيث يفعل الخصم تماماً - وفي الغالب دون أن يشعر - ما يُراد له أن يفعله من جراء شن حرب المعلومات المضللة.

إن إعادة إنتاج ما تروج له الحملات العدائية في الإعلام الغربي في وسائل إعلامنا يعني نجاح الحملات العدائية.. وكأننا نسينا مثلاً شعبياً مصرياً يقول "ما شتمك إلا من بلَّغك"... والقضية هنا أن على الإعلام الممثل لواقعنا العربي الإسلامي ألا يقف على المربعات المصممة له، بل عليه أن يعي ما المربعات التي تفقد العدو والخصوم أهدافهم... ولا مانع من الإشارة إلى الأدبيات المعادية، ولكن في إطار فضحها والتعامل الإيجابي معها وعرض النماذج المضادة لها والمعبرة عن القطاع الأفضل والأكبر وغير المروج له في الغرب.

٣-٣-٣ فخ منطقة الأمان/ الاستراحة بين الاعتزال واللافعل وترك الساحة لواعظي ومروجي الكراهية

Comfort zone Traps & Hate preaching Trap

مفهوم فخ منطقة الأمان zone Trap Comfort من المفاهيم في علم التفاوض التي من شأنها تحذير المتفاعل/ المفاوض، في سياق أي موضوع، من انتهاج سيناريو النعامة، أي أن يؤثِر السلامة كالنعامة التي تضع رأسها في الرمال حين ترى الأخطار؛ وكأنها عندما لا تراها فإن مثل هذه الأخطار تكون قد تبددت، فهذا عين ما قد يختار فعله كثير من المتفاعلين والمتفاوضين عندما يتجنبون الخوض في الأمور الصعبة أو المعقدة؛ فيؤجلونها أو يتجنبونها على الدوام إلى أن تصبح سلوكاً دائماً، مما يجعل الأمور تنفجر في حالات متقدمة بسبب عدم معالجتها أولاً بأول وبشجاعة... وإذا ما نظرنا إلى هذا الفخ في إطار تحليلنا لمادة بيانات دراستنا هنا لوجدنا أن كثيرين من المؤهلين للحوار وللتفاوض؛ إما لا يمارسون دورهم أو يستكينون لتهميشهم، فيقف غير المدربين وغير المؤهلين في موقع متقدم، مع وجود صلاحيات غير محدودة لهم، فيزيدون (الطين بلة) وتتفاقم الأمور على أيديهم بطبيعة الحال إلى نقطة اللاعودة أحياناً. أضف إلى هذا البعد صحوة ما يمكننا تسميتهم بواعظي الكراهية، حيث نرى في الغرب كثيرين من أصحاب حالات التطرف الديني غير المسبوق في التاريخ الإنساني، خاصة من يسمون بحركة المسيحيين المتصهينين من ناحية، وبأصحاب الفهم الخاطئ للإسلام من وعاظ لا يملكون سوى الجهل والتزمت؛ ممن يعلنون الحرب على الأديان الأخرى باسم الإسلام والإسلام منهم بريء من ناحية ثانية[١]...

---

(١) راجع لكاتب السطور دراسة تفصيلية عن فكر المسيحيين المتصهينين بعنوان (تحديات الدور المصري وآفاق المستقبليات: ما بين التنبؤ والنبوءات.. دراسة من منظور لغويات التفاوض)، المكتبة الأكاديمية، القاهرة ٢٠٠٣م.

وهذا المأزق يحتاج إلى أن يتحرك المتدربون والمعتدلون في كل من العالم العربي الإسلامي والغرب للتعامل إيجابياً مع هذا المأزق الضار للغاية بالجميع في نهاية المطاف.

٣-٣-٤ فخاخ التأطير الخاطئ للمشاكل وفخاخ التأطير الخاطئ للإسلام في الغرب

فخ التأطير Framing Traps، من الفخاخ المعروفة التي ينبغي على المفاوض في أي سياق أن يعلم ويتدرب على عدم السقوط فيه... ولقد ذكرت صيغة الجمع، فقلت "فخاخ التأطير"، لأن هذا الفخ له أكثر من شكل، وأول أشكاله هو أن يتم تأطير وفهم المشكلة في إطار يكون بعيداً عن الفهم الصحيح لهذه المشكلة أو تلك، ومن ثمَّ يكون الحل في إطار آخر خاطئ أيضاً... وفخ التأطير الخاطئ في قضايا حوار الثقافات والحضارات، خاصة بين العالم العربي الإسلامي والغرب له أمثلة كثيرة ومتعددة وأهمها من ملف بيانات هذه الدراسة يتمثل في الآتي:

المثال الأول: أن هناك دوائر مهيمنة في الغرب ترى في مفاهيم مثل الحرية والديمقراطية والعدالة وحقوق الإنسان من مستوى معيشة إلى أمان الأطفال والمرأة إلخ... أموراً ليس لها مكان على أجندة المواطن العربي، ولا ينظر أصلاً لها، ومن ثمَّ فهو عدو لها ويحارب الغرب بسببها... وهي المفاهيم ذاتها التي تحرك قوى في الغرب لمحاولة فرضها... ولو بالقوة العسكرية، وهي أمور لا يمكن فرضها بالقوة، كما أن المواطن العربي المحاصر من ديكتاتوريات من ناحية، ومن ضغوط خارجية تتحجج بهذه الحجة من ناحية ثانية، يرى أن الغرب يسعى فقط إلى تحقيق الأطماع والهيمنة من وراء تلك المصطلحات البراقة، كما أن وضع هذه الثنائيات الإطلاقية والتبسيطية التي ترى أنه لا أهمية تذكر لهذه المفاهيم الراقية في

جوهرها إنما هو فعل من أفعال محاولة إخراج الإنسان في العالم العربي والإسلامي من إنسانيته "Act of Dehumanizing".

المثال الثاني: تحليل خطاب الأمير تشارلز ورصد فخاخ التأطير الخاطئ للإسلام على أكثر من مستوى[١]، من ذلك:

- "التأطير الخاطئ للشريعة الإسلامية وأحكامها السامية".
- "التأطير الخاطئ لعلاقات المسلمين بالآخرين من أصحاب العقائد الأخرى".
- "التأطير الخاطئ للإسلام على أنه مولد للعنف والإرهاب".
- "التأطير الخاطئ للفصل بين الإسلام والعلم".

إن هناك عشرات من الردود قدمها العالم العربي والإسلامي بخصوص أمثلة التأطير الخاطئة المشار إليها أعلاه، ولكنني سأكتفي بالاستشهاد التحليلي/التصنيفي إلى أجزاء - مطولة بعض الشيء لأهميتها الخاصة - من خطاب الأمير تشارلز التي كررها في عدة مناسبات ونشرت على نطاق المناسبات التي قيلت فيها[٢]، وينبغي إبراز أهميتها على نطاق

---

(١) بخصوص خطاب الأمير تشارلز موضع الإشارة والتحليل هنا راجع: خطاب لصاحب السمو الملكي الأمير تشارلز ولي العهد البريطاني بعنوان "الإسلام والغرب"، والذي ألقاه في مسرح شيلدونيان، أوكسفورد، بمناسبة زيارته لمركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية، في ١٩٩٣/٩/٢٧ والذي طبعته بالعربية والإنجليزية مطابع جامعة أوكسفورد ببريطانية.

(٢) بخصوص تكرار وتأكيد ما ذكره الأمير تشارلز في عدة مناسبات أخرى، راجع على سبيل المثال:

"A sense of the sacred: Building Bridges Between Islam & the West" a speeh delivered by H. R. H. prince Charlez of England on Dec. 13, 1996 at the fiftieth anniversary celebration of Wilten Park a respected ** in England for the study of International issues.

=

أوسع لأنها تخدم معظم الشروط الناقصة اليوم في حوار الثقافات والحضارات فيما بين الغرب والعالم الإسلامي، ولكونها صادرة من غربي في مقام الأمير تشارلز.

- **عن الحقيقة المحزنة، وفخ التأطير الخاطئ للإسلام بوصفه مصدراً للخوف والشك:**

يصف الأمير تشارلز الحقيقة المحزنة المتمثلة في سوء الفهم والتفاهم بين عالم الدول العربية الإسلامية والغرب فيقول متسائلاً:

"الحقيقة المحزنة هي أنه بالرغم من التقدم في مجال التكنولوجيا ووسائل الاتصال في النصف الثاني من القرن العشرين، وبالرغم من سفر الناس على نطاق واسع، واختلاط الأجناس وإماطة اللثام -أو هكذا نظن- عن كثير من ألغاز هذا العالم، فإن سوء الفهم بين الإسلام والغرب ما يزال مستمراً، بل وربما أخذ يزداد. إن سوء الفهم هذا، بالنسبة إلى الغرب، لا يمكن أن يكون حصيلة الجهل، فهناك بليون مسلم في شتى أرجاء العالم، ويعيش الملايين منهم في بلدان الكومونولث. وهناك عشرة ملايين مسلم أو أكثر في الغرب، ومن بينهم حوالي مليون في بريطانية. إن جاليتنا الإسلامية تنمو وتزدهر منذ عقود، فهناك حوالي ٥٠٠ مسجد في بريطانية، والاهتمام الشعبي بالثقافة

= وبخصوص ردود الأفعال حول خطابات الأمير تشارلز، راجع على سبيل المثال لا الحصر:

- The Independent, July 1, 1994.
- Sunday Times, May 26, 1996.
- The Times, Dec. 14, 1996.
- Richard Kay, "The Wise Men of Islam", Daily Mail, Jan. 6, 1997.
- John Casey, "Friend of Islam given a hero's welcome", The Daily Telegraph, Mar. 8, 1997.

الإسلامية يتنامى بسرعة. إن الإسلام يحيط بنا من كل جانب، ومع ذلك يستمر الشك والخوف"[١].

• وعن فخ التأطير الخاطئ لقوانين الشريعة الإسلامية، وأهمية الفصل بين التدين والتطرف، وخطورة منطق وصم الإسلام بالتطرف:

يقدم الأمير تشارلز رؤية تاريخية يربطها باحداث الحاضر، وينتقد من خلالها الفهم السطحي أو التسطيحي المتعسف لقوانين الشريعة الإسلامية فيقول:

"تغيرت الصورة، وأصبحت الدول الغربية تحتل جميع العالم العربي تقريباً، وبدا أن انتصار أوربة على المسلمين اكتمل بعد سقوط الإمبراطورية العثمانية. صحيح أن أيام الفتوحات تلك قد انتهت، ولكن موقفنا من الإسلام ما يزال يعاني حتى الآن، لأن أسلوب فهمنا له اختطفه التطرف والسطحيات، فكثيرون منا في الغرب ينظرون إلى الإسلام بمنظار الحرب الأهلية المأساوية في لبنان، وأعمال القتل والتفجير التي تقوم بها جماعات متطرفة في الشرق الأوسط، وبمنظار ما يشار إليه عموماً بعبارة "الأصولية الإسلامية". لقد عانى حكمنا على الإسلام من التحريف الجسيم نتيجة اعتبار أن التطرف هو القاعدة. إن هذا خطأ جسيم، فهو مثل الحكم على نوعية الحياة في بريطانية من خلال وجود جرائم القتل والاغتصاب والاعتداء على الأطفال وإدمان المخدرات. صحيح أن التطرف موجود ولابد من معالجته، ولكنه عندما يستخدم أساساً للحكم على مجتمع فإنه يؤدي إلى التحريف والإجحاف"[٢].

---

(١) المرجع السابق، ص١٠.
(٢) المرجع السابق، ص١٤.

ويضيف الأمير تشارلز قائلاً: "فمثلاً، كثيراً ما يجادل الناس في هذه البلاد بأن قوانين الشريعة في العالم الإسلامي قاسية ووحشية ومجحفة، ويروق لصحفنا، في المقام الأول، أن تروج هذه الأفكار الاعتباطية المجحفة. والحقيقة بالطبع مختلفة وأكثر تعقيداً على الدوام. وفهمي الشخصي هو أن النواحي المتطرفة نادراً ما تمارس، ولابد أن المبدأ الموجه وروح الشريعة الإسلامية المستمدة من القرآن الكريم ينصان على الإنصاف والرحمة. علينا أن ندرس التطبيق الفعلي للشريعة قبل أن نصدر أحكامنا، وعلينا أن نميز بين أنظمة العدالة التي تدار باستقامة، وأنظمة العدالة كما نراها قيد التطبيق والتي قد حرفت لأغراض سياسية وتحولت إلى شيء لم يعد إسلامياً"[1].

- وعن فخ المادية المجحفة التي وقع فيها الغرب والعالم، وعن فخ الغطرسة الغربية فيما يتعلق بمصطلح الأصولية، وعن تخوفات العالم الإسلامي:

ينتقد تشارلز الواقع المادي العالمي الذي أضعف الجانب الروحي في الغرب، ويرى بإنصاف عقل المنصفين في كل زمان ومكان أهمية القوة الروحانية التي يتسم بها الإسلام، وكيف يستفيد منها الغرب فيقول: "علينا في الغرب أيضاً أن نفهم نظرة العالم الإسلامي إلينا، فالمرء لا يجني مكسباً بل يتسبب في كثير من الأذى إذا رفض تفهم مدى التخوف الحقيقي لكثير من الناس في العالم الإسلامي من ماديتنا الغربية وثقافتنا الشعبية؛ باعتبارهما تحدياً فتاكاً لثقافتهم ونسق حياتهم الإسلامي. وقد يظن بعضنا أن الزخارف المادية لمجتمعنا الغربي التي نصدرها إلى العالم الإسلامي من التلفاز ووجبات الطعام السريعة، والأجهزة الإلكترونية التي نستعملها في حياتنا اليومية إنما تنطوي على تأثير جيد بحد ذاتها،

---

(١) المرجع السابق. ص١٤.

وتستهدف العصرنة. ولكننا نسقط في فخ الغطرسة المقيتة إذا نحن خلطنا بين (العصرية) في البلدان الأخرى وبين تحويلها إلى أشباه لنا. وحقيقة الأمر هي أن شكل المادية لدينا يمكن أن يجرح مشاعر المسلمين الأتقياء، ولا أعني بذلك المتطرفين بينهم فحسب. علينا أن نتفهم رد الفعل هذا بقدر ما على العالم الإسلامي أن يتفهم موقف الغرب من بعض النواحي الصارمة في الحياة الإسلامية. علينا أن نحذر تلك التسمية المثيرة للعواطف "الأصولية"، ونميز - كما يفعل المسلمون أنفسهم - بين دعاة الصحوة الدينية الذين يختارون ممارسة دينهم بأعلى درجات التقوى؛ وبين المتعصبين أو المتطرفين الذين يستخدمون هذه التقوى لتحقيق أهداف سياسية. ومن بين الأسباب الدينية والاجتماعية والسياسية لما يمكن أن نسميه على نحو أدق بالصحوة الإسلامية شعور قويٌّ بخيبة الأمل من جراء الإدراك بأن التكنولوجيا الغربية والأشياء المادية ليست كافية، وبأن مغزى أعمق للحياة يكمن في مكان آخر في جوهر العقيدة الإسلامية"[١].

- وعن فخ التأطير المتعسف للإسلام والمسلمين بالتطرف (وأن التطرف ليس حكراً على دين بعينه):

إن التحليل الموضوعي لخطاب الأمير تشارلز يؤكد على روح الإنصاف والموضوعية ذات المستوى التقمصي الرفيع، وهنا نرصد من واقع هذا الخطاب رفض إلحاق التطرف والعنف بالإسلام بحكم الاطلاع الدقيق على هذا الدين من قبل الأمير تشارلز، وإن التطرف والعنف والإرهاب لا دين لها، وهنا يقول: "إن علينا في الوقت نفسه، ألا ننساق وراء الاعتقاد بأن التطرف هو سمة المسلم وجوهره، فالتطرف ليس حكراً على الإسلام بل ينسحب على ديانات أخرى بما فيها الديانة المسيحية. والغالبية العظمى من المسلمين يتسمون بالاعتدال من الناحية السياسية وإن

(١) المرجع السابق ص١٦، ص١٧.

كانوا شخصياً أتقياء، ودينهم هو "دين الاعتدال"، والنبي محمد ﷺ نفسه كان يمقت التطرف دائماً ويخشاه. ولعل الخوف من الصحوة الإسلامية الذي ميز الثمانينيات أخذ يتحول الآن في الغرب إلى تفهم للقوى الروحية الحقيقية الكامنة وراء هذا المد، ولكن إذا كان لنا أن نفهم هذه الحركة الهامة، فعلينا أن نتعلم التمييز بشكل واضح بين ما تؤمن به الغالبية العظمى من المسلمين، وبين أعمال العنف المروعة التي تقوم بها أقلية صغيرة بينهم والتي يتعين على الناس المتحضرين في كل مكان أن يدينوها"(١).

- **وعن فخ تأطير الإسلام بالجهل ونسيان أن الحضارة الإسلامية لا تفصل بين الدين والعلم..**

يقول الأمير تشارلز مذكراً الغربيين بأن هناك كثيرين منهم قد ربط فكرة فصل العلم عن الدين في عالمنا من خلال حركة التاريخ الأوربي حين كفَّرت الكنيسة العلماء، ونسوا أن الإسلام ينبني على الإيمان والعلم، وأن الحضارة الإسلامية كانت تعني التسامح الإيماني بأعمق مستوياته، والنهضة العلمية بأعمق مستوياتها، ولا سبيل للفصل بين العلم والإيمان، من هنا يقول تشارلز بتجرد فريد: "إذا كان هناك قدر كبير من سوء الفهم في الغرب لطبيعة الإسلام، فإن هناك أيضاً قدراً مساوياً من الجهل بالفضل الذي تدين به ثقافتنا وحضارتنا للعالم الإسلامي. وأعتقد أن هذا الفشل ينبع من النظرة الجامدة للتاريخ التي ورثناها. فالعالم الإسلامي في العصور الوسطى، من آسية الصغرى إلى شواطئ الأطلس، كان عالماً ازدهر فيه الباحثون المختصون ورجال العلم. ولكن بالنظر إلى أننا نميل إلى اعتبار الإسلام عدواً للغرب ونظام عقيدة وثقافة ومجتمعاً غريباً، فقد جنحنا إلى تجاهل أو محو أهميته

(١) المرجع السابق ص١٧.

بالنسبة إلى تاريخنا. فقد قللنا مثلاً من أهمية ٨٠٠ سنة من المجتمع والثقافة الإسلامية في إسبانية بين القرنين الثامن والخامس عشر. لقد تم الاعتراف منذ عهد طويل بمساهمة إسبانية في ظل الحكم الإسلامي في الحفاظ على العلوم والمعارف الكلاسيكية خلال عصور الظلام؛ وفي وضع اللبنات الأولى للنهضة الأوربية، ولكن إسبانية في عهد المسلمين كانت أكثر من مجرد مخزن؛ حيث احتفظت بالمعارف والعلوم الإغريقية التي استفاد منها فيما بعد العالم الغربي العصري الذي أخذ في الظهور الفكري للحضارة اليونانية والرومانية؛ بل فسرت تلك الحضارة وتوسعت بها، وقدمت مساهمة هامة من جانبها في كثير من مجالات البحث الإنساني؛ في العلوم، والفلك، والرياضيات، والجبر (الكلمة نفسها عربية)، والقانون، والتاريخ، والطب، وعلم العقاقير، والبصريات، والزراعة، والهندسة المعمارية، وعلم الدين، والموسيقا. وقد ساهم ابن رشد وابن زُهر، على غرار نظيريهما ابن سينا والرازي في الشرق، في دراسة الطب وممارسته بطرق استفادت منها أوربة لقرون عديدة بعد ذلك"[1].

ويضيف تشارلز قائلاً:

"لقد شجع الإسلام البحث والتنقيب وحافظ عليهما، وثمة قول مأثور جاء فيه: "إن حبر العالم أقدس من دم الشهيد". لقد كانت قرطبة في القرن العاشر أكثر المدن تحضراً في أوربة. فنحن نعرف عن وجود مكتبات عامة في إسبانية، ويقال إن مكتبة حاكم قرطبة كانت تضم ٤٠٠,٠٠٠ مجلد، أي ما يزيد عن عدد الكتب في جميع المكتبات في بقية أوربة معاً"[2].

---

(١) السابق ص١٧.

(٢) السابق ص١٧، ص١٨.

- **عن فخ عدم التوظيف الإيجابي لقوة الإسلام الإيجابية للنهوض في العالم العربي الإسلامي وبالإنسانية جمعاء**

... إن آخر ما نستشهد به في إطار رصدنا التصنيفي/التحليلي لخطاب الأمير تشارلز التاريخي -حقاً- والذي لا يعد أساساً قوياً لأرضية مشتركة فقط؛ ولكنه يمثل كذلك شهادة مهمة تعبر عما يريد أي باحث مسلم أن يعبر عنه وينقله لتصحيح إدراك الغرب للإسلام؛ بل وتصحيح إدراك كثير من المسلمين لدينهم وطبيعته العلمية الإيمانية المتكاملة، وأهمية التنبيه إلى توظيف القوة الإيجابية للإسلام كشريك في نماء هذا العالم، وليس في إقصائه بالصور السطحية والعدائية القائمة - مع الأسف - في الغرب وفي كثير من الكتابات الساذجة في الواقع العربي الإسلامي ذاته، لمن يدعون فصل الدين عن العلم، وفصل العلم عن الإيمان الإيجابي والوصول إلى شيء من العدمية، هنا يقول تشارلز: "إن كثيراً من المزايا التي تفخر بها أوربة العصرية جاءت أصلاً من إسبانية أثناء الحكم الإسلامي. فالدبلوماسية، وحرية التجارة، والحدود المفتوحة، وأساليب البحث الأكاديمي، وعلم الإنسان، وآداب السلوك، وتطوير الأزياء، والطب البديل والمستشفيات، جاءت كلها من تلك المدنية العظيمة. وقد كان الإسلام في العصور الوسطى ديناً يتسم بقدر ملفت للنظر من التسامح بالنسبة إلى تلك الحقبة، فقد منح اليهود والمسيحيين الحق لممارسة معتقداتهم الموروثة، وكان بذلك قدوة لم تحتذ بها - للأسف - دول كثيرة في الغرب. والمدهش هو مدى تشكيل الإسلام جزءاً من أوربة لفترة زمنية طويلة، أولاً في إسبانية ثم في البلقان، ومدى مساهمته في الحضارة التي كثيراً ما نعتقد - خطأ - أنها غربية بأكملها. إن الإسلام جزء من ماضينا وحاضرنا في جميع مجالات البحث الإنساني، وقد ساهم في إنشاء أوربة المعاصرة. إنه جزء من تراثنا وليس شيئاً منفصلاً عنه.

وعلاوة على ذلك فإن الإسلام يمكن أن يعلمنا طريقة للتفاهم والعيش في العالم، الأمر الذي فقدته الديانة المسيحية مما أدى إلى ضعفها. ويكمن في جوهر الإسلام حفاظه على نظرة متكاملة للكون[١].

٣-٣-٥ (فخ التاريخ) و (فخ التنبؤ)!

من فخاخ التفاوض في أي سياق؛ دينياً كان أم اجتماعياً أم سياسياً أم في مجال الأعمال ألا يُنظر لتاريخ الأحداث أو لتاريخ قضية بعينها أو لتاريخ أشخاص المفاوضين، عند القيام بالتنبؤ الذي يُعتبر عمليةً مستمرة في تفاعل المتحاورين والمتفاوضين على مستويين؛ إما على مستوى توقع ما سوف يثار في جلسة بذاتها أو في جلسات التفاوض، أو على مستوى المستقبل البعيد... وفخ التاريخ والتنبؤ يدعونا إلى تأمل عملية معقدة، لأنه وكما أن الماضي يُعد مؤشراً مهماً للغاية، إلا أنه - في حالات للانفراج وفتح صفحات جديدة - قد يكون سجناً يسجن فيه المفاوضون فيحرمون أنفسهم من فتح آفاق جديدة قد تكون لخيرهم جميعاً، وأعتقد أن هذا المأزق أو الفخ واضح جداً عند النظر من خلاله لتاريخ (حوارات الأديان والثقافات والحضارات) فالتاريخ في الحوار هنا يرتبط بما يلي:

- تاريخ الاستشراق المزيف للدين الإسلامي، في معظمه، حيث قام المستشرقون بما يشبه العمل التمهيدي لاستعمار مناطق العالم العربي الإسلامي[٢].
- تاريخ الحروب الصليبية واستخدام الصليب شعاراً للغزو وللهيمنة؛ للاستيلاء على ثروات العالم العربي الإسلامي؛ وتاريخُ الفتوحات الإسلامية التي تم تشويهها في الغرب.

---

(١) المرجع السابق ص١٦.

(٢) راجع كتاب إدوارد سعيد بعنوان (الاستشراق) بالإنجليزية.
Said, Edward, orientalism, Vintage Books, NY 1979

- التاريخ الحديث للإمبريالية والاستعمار الغربي الذي دعم إنشاء الدولة العبرية في وسط العالم العربي الإسلامي.
- انتهاء الاحتلال من العالم إلا العالم العربي الإسلامي كما في حالتي العراق وفلسطين.
- ازدياد وتيرة العداء ممّن يسمون بالمسيحيين المتصهينين المؤيدين لهدم الأقصى وبناء المعبد اليهودي.

إلا أن هناك بعداً آخر ينادي به من يرون أهمية الاعتراف بالأخطاء التاريخية في حق العرب والمسلمين بالاعتذار عن هذه الأحداث، وفتح صفحة جديدة حيث أعلن البابا يوحنا بولس الثاني في خطابه المعنون (عشية الألفية الثالثة) الصادر في ١٠/ ١١/ ٢٠٠٤[١] مطالبته "الاعترافات بالأخطاء الماضية التي اقترفتها الكنيسة بكافة أفرعها". ونطالع البند ٣٣: "من المفيد أن تعبر الكنيسة هذه الفترة وهي مدركة تماماً لكل ما عاشته طوال العشرة قرون الماضية؛ إذ إنه لا يمكنها أن تجتاز عقبة الألفية الجديدة دون أن تحث أبناءها على التطهر، وذلك من خلال الندم على الأخطاء، فالاعتراف بأخطاء الأمس يمثل فعل أمانة وشجاعة، ويساعدنا على تقوية إيماننا، ويجعلنا نتبصر إغراءات مصاعب اليوم ويعدنا على مواجهتها.... ومن ضمن هذه الأخطار "استخدام أساليب التعصب والعنف في خدمة الحقيقة (بند ٣٥)، واعتقاد كثيرين أن الولاء الصادق للحقيقة هو إخراس رأي الآخر أو على الأقل تهميشه (بند ٣٥)"[٢].

السؤال هنا أن الأمر يحتاج إلى إجراءات ملموسة لتحسين أجواء العلاقات في موضوعات حيوية ومؤثرة؛ كحل الصراع العربي الإسرائيلي

---

(١) النص باللغة العربية ورد في كُتيب د. زينب عبد العزيز، بعنوان (التعايش السلمي)، دار الهداية (من دون تاريخ) ص٣٥، ص٤٠.

(٢) المرجع السابق ص٤٠.

حلاً عادلاً، ورحيل قوات الاحتلال الأمريكية عن العراق ضمن حزمة متكاملة من إجراءات بناء الثقة.. وعموماً، فإن هذا المأزق أو الفخ بحاجة إلى إجراءات صادقة لإعادة الثقة بين العالمين؛ الغربِ والعالمِ العربي الإسلامي[١].

٣-٣-٦ فخ المصطلحات وصياغتها ودلالاتها وتأثيراتها في مسار الحوار والتفاوض

تناولت في سياق سابق[٢] موضوع فخ المصطلحات وصياغاتها ودلالاتها وتأثيراتها في مسار الحوار والتفاوض.

ويهمني العودة لموضوع هذا البحث وإضافة ما يهمنا في إطار موضوع الدراسة ومصطلحات ذلك الموضوع تحديداً، والأمر بحاجة إلى دراسة تفصيلية أخرى عن مصطلحات حوار الثقافات والحضارات والأديان، بالإضافة إلى ما تناولناه هنا في إطار هذه الدراسة، ولكننا سنكتفي في هذا الجزء بالتعامل مع المعضلة المصطلحية الرئيسية والمتمثلة في السؤال التالي:

هل نسمي مادة التفاعلات في موضوعنا هنا "بحوار الثقافات"؛ أم "بحوار الحضارات"؟ أم "بحوار الأديان"؛ أم "بالحوار الإسلامي المسيحي"؟.

---

(١) بخصوص موضوع بناء إجراءات الثقة في هذا السياق راجع مقال د. محمود حمدي زقزوق بعنوان (مستقبل العلاقة بين العالم الإسلامي والغرب) الأهرام ٢٠٠٥/١/٢٢.

(٢) للتفاصيل راجع لكاتب السطور بحثاً بعنوان (المصطلح والمناظرة: خرائط التفاوض ودبلوماسية التعامل مع السياق الدولي الحرج..) ندوة اللغة والهوية وحوار الحضارات، برنامج حوار الحضارات، كلية الاقتصاد، جامعة القاهرة ٢٠٠٤.

لاسيما أنِ المناقشات قد احتدمت ولا تزال بخصوص ما يثيره كل مصطلح من هذه المصطلحات، أضف إلى ذلك استخدام هذه الدراسة مصطلحيِ "الحوار" و"التفاوض"[١]...

فخ المصطلح أم فخ الفلتر الذهني للمتلقي؟!

بعضهم يرى مصطلح (حوار الحضارات) أنه مصطلح غامض ومتسع وملتبس، وبعضهم تنتابه حالة من الاستنفار والخطر من مصطلح (حوار الأديان)، فنجد تصريحَ الدكتور سليم العوا مؤخراً يقول فيه: "أنا ضد حوار الأديان"[٢]، ومن قبله قال أحد الفقهاء المصريين المعروفين: "لا لحوار الأديان"[٣]، أما تعبير "الحوار الإسلامي والمسيحي" فهو مصطلح يتم تداوله منذ عدة عقود، خاصة تحت رعاية الفاتيكان، ويرى أنصار استخدام حوار الثقافات -ومنهم كاتب السطور- بأنه الأكثر دقة وتحديداً، ويتسع لكل أشكال الحوار...

والرأي الأصوب هو قبول أي من هذه المصطلحات كلها ما دام مستخدمها قد حدد ما يقصده بدقة ووضوح، فلماذا يكون بعضهم ضد (حوار الأديان) مثلاً إذا كان الهدف من الحوار وموضوعه هو تلاقي أصحاب الأديان المختلفة لمناقشة مشاكل البشرية، كمحاربة الفقر،

---

(١) المقصود بالحوار في أي سياق هو ما ينبني على المبدأ التعاوني Cooperative Principle وما يتضمنه ذلك من مودة وتسامح وتعارف إنساني راق وصادق، أمَّا التفاوض فهو ينبني على وجود المبدأ التنازعي Adversative Principle في التفاعل ويتعين على الأفراد هنا إدارة اختلافاتهم بخصوص موضوع ما، ومفهوم التفاوض الذي نتبناه هنا هو ذلك المبني على الأخلاق والمقاصد الكبرى السامية للأديان وللدين الإسلامي خاصة.

(٢) راجع حوار مع د. محمد سليم العوا في مجلة نصف الدنيا بتاريخ ٢٨/ ١/ ٢٠٠٥.

(٣) راجع مقابلة مع د. محمد رأفت عثمان، جاء عنوانها (لا لحوار الأديان، والإسلام ضد صدام الحضارات) الأهرام الرياضي ٨/ ١١/ ٢٠٠٤.

والحروب، والتعصب، والتعاون على البر والتقوى، وخدمة مشاكل الإنسانية وقضايا تحقيق السلام العادل، والعلاقات السوية، وغير ذلك من دون هيمنة أو تخف وراء المصطلحات..

من هنا لا نفضل وجود موقف صارم ومستغرب ضد مجرد مصطلح، في لحظة يعيش فيها العالم حالة لغوية ثقافية تعرف بالتضخم في المصطلحات.

فطبقاً للغويات ونظرية المعلومات؛ فإنه كلما زاد مدى الاتساع في المعنى لمصطلح ما "Linguistic Inflation" فإن قدرتنا على فهمه تصبح قاصرة/ ناقصة (Deflated)، وهذا الأمر ينطبق على مصطلحات عديدة فيما يتعلق بحوار الثقافات والأديان والحضارات مثل مفاهيم (العلمانية) و(العلمنة) و(التسامح)، وغيرها مما تعرضنا له في بحث سابق[١].

ونضيف إلى عمق المشكلة في سياق موضوعنا، هذا التباينَ الصارخ والكبير في التعريف بما هو المقصود بالحوار، طبقاً لدراسات عديدة، نأخذ منها دراستين متباينتين إلى أبعد الحدود، خاصة فيما يتعلق بالفلتر الذهني الشارح Cognitive Filter لما يقصده متحاور ما.. أي عندما يعرف الطرف (أ) الحوار بمعنى؛ ويفهم الطرف (ب) معنى مخالفاً لما أوضحه الطرف أ، ومن المهم توضيح هذا السجال الذي اكتشفته وأنا مستغرق في القراءة المتأنية لمواد بيانات هذه الدراسة؛ وهنا نقول ما قاله الطرف (أ) مثلاً وهو هنا تعريف الفاتيكان لمفهوم الحوار وشروطه، حيث يقول كتاب الفاتيكان (من أجل حوار إسلامي مسيحي: موقف المسيحية من الإسلام كما حدده الفاتيكان)[٢].

---

(١) مرجع سابق (المصالح والمناظرة)، ص١٦.

(٢) راجع وثيقة الفاتيكان التي جاءت بعنوان (من أجل حوار إسلامي/ مسيحي)، مرجع سابق، ص٢٠، ص٢١.

أ. أن تسود الصراحة كل موقف؛ هنالك خطر مميت يهدد الحوار، وهو الافتراض أن الشريك يخفي سريرته ومقاصده في عملية تبشير، ودعوة دينية معينة.. وإذا كان هذا الخطر مشتركاً في العلاقات بين الكاثوليك وغير الكاثوليك، وبين المؤمنين وغير المؤمنين، فإنه لا يمكن أن يكون مشتركاً في العلاقات بين المسلمين والمسيحيين.. وإذا كان المسلمون يرون في هذا الحوار شكلاً من أشكال الدعوة التبشيرية الجديدة، وكانوا يفكرون في ذلك فعلاً، فإن من المستحسن أن يؤجل الحوار، ولو إلى فترة بسيطة، لأن هذا الحوار قد يؤدي إلى توريط ديني، وأن يترك للزمن.

ب. إسقاط الأفكار المسبقة والمتعصبة، مع العمل على تعميق وتوضيح العقليات والأذهان، فمن غير المفيد بالفعل، ومن غير المثمر، أن نجري ونرتبط بلقاءات لا تؤدي في النهاية إلا إلى طرق مسدودة وسوء تفاهم.

وموقف الانتظار هذا يغنينا عن التأكيد بوضوح على مواقفنا، إذ يجب أن تملي علينا الفكرة الواضحة أو الغاية من كل حوار، طريقة سلوكنا. وهذا الحوار لا يفرض بذاته عملية تغيير دين الآخر، ولكن عليه أن يؤدي إلى القبول السلمي والمفرح للمحاور الآخر بتثبيت أفضل للحقيقة والخير في كل مجالات الإنسانية[١].

في المقابل -النقيض- تنقل د. زينب عبد العزيز في كتابها هذه الفقرة نفسها (من الفرنسية إلى العربية) قائلة بالنص ما يلي:

"... ولا يسع المجال هنا لنورد كل المراجع الكنسية التي تتضمن شرحاً لمعنى الحوار، لكنا سنورد بعض النماذج لأهميتها أو تلك التي

---

(١) راجع وثيقة الفاتيكان التي جاءت بعنوان (من أجل حوار إسلامي/ مسيحي)، مرجع سابق، ص٢٠، ص٢١.

استطعنا الحصول عليها، وفيما يلي بعض المقتطفات من الكتاب المعنون: (توجيهات من أجل حوار بين المسيحيين والمسلمين) الصادر عن الفاتيكان في عام ١٩٦٩، أي بعد انعقاد المجمع بأربع سنوات:

هناك موقفان لابد منهما أثناء الحوار: أن نكون صرحاء وأن نؤكد مسيحيتنا وفقاً لمطلب الكنيسة [ومطلب الكنيسة بات معروفاً].

أخطر ما يمكن أن يوقف الحوار أن يكتشف من نحاوره نيتنا في تنصيره، وإذا ما قد تم استبعاد هذا الموقف بين الكاثوليكي وغير الكاثوليكي، فإنه لم يستبعد بعد بين المسيحي والمسلم. وإذا ما تشكك من نحاوره في هذه النية علينا بوقف الحوار فوراً، وهذا التوقف المؤقت لا يعفينا من تأكيد مواقفنا بوضوح"[١].

مما سبق من الفقرتين يتضح حجم الاختلاف والتباين الشديد بين ما يقوله (أ) (أي كتاب أو وثيقة الفاتيكان) وما يفهمه (ب) (باحث من العالم العربي الإسلامي)، فهل الخطأ في الترجمة، وهذا أمر يبدو مستبعداً تماماً للقدرة المفترضة من الطرفين... أم أن الأمر يتعلق بهيمنة الفلتر الذهني وصبغ الكلام بصيغه وليس بحقيقة ما يقال.. وهذه معضلة كبرى في الحوار تتجلى في هذا المثال، فهناك كتاب آخر للدكتورة زينب عبد العزيز[٢] حيث تقرن مصطلح (الحوار كنسياً) بمفهوم (التنصير)[٣] حيث تقول هذا في أكثر من مرة وفي أكثر من سياق في كتابها، ففي حديثها عن "أهم حقلي عمل أمام الكنيسة في الفترة القادمة تقول: (أ) المواجهة مع العلمانية (ب) الحوار مع الديانات وبخاصة الإسلام.. وهنا

---

(١) مرجع سابق (من أجل التعايش السلمي) ص١٩.

(٢) راجع: عبد العزيز، زينب الخطة الخمسية للبابا يوحنا بولس الثاني، دار الوفاء للطباعة والنشر ١٩٩٤م.

(٣) المرجع السابق ص٤٤، ص٤٥.

نقول بين قوسين "والحوار في مفهوم البابا يعني التنصير..."[١]... إن ما تذهب إليه د. زينب هو ما استقاه الفلتر الذهني لديها... خاصة لأن ما أعلنته وثيقة الفاتيكان التي رصدناها في تعريفها للحوار ينفي بصورة قاطعة وواضحة أن المقصود من الحوار هو التنصير. إن ما ذكرناه يعتبر مثالاً واضحاً عن المأزق الراهن في قراءة النيات وليس الألفاظ ومعانيها، ويعبر عن وجود أزمة الثقة التي ينبغي أن يتم عبورها لنجاح أي حوار، سواء أسميناه "بحوار الأديان"، أو "حوار الثقافات" أو "حوار الحضارات" أو "بالحوار الإسلامي/المسيحي" في سياقات بعينها.

٣-٣-٧ فخ التوقعات المتضخمة أو المبالغ فيها

من الفخاخ التي يتعين علينا تجنب السقوط فيها في إدارة الحوار في التفاوض، وفي إدارة الأزمات، هو عدم المبالغة في التركيز على نداء أو نقطة معينة في الصراع؛ على أنَّ هذه النقطة هي جوهر كل الصراع؛ وأنَّه إن حُلت تم حل أوجه الصراع كافة بشكل تلقائي، ولكن لابد أن نرى الحلول، خاصة في الأزمات الممتدة حزمةً متكاملةً من السياسات، كل يؤدي هدفاً على المدى القريب والبعيد معاً... فحين يقول بعضهم إن "حل مشكلة فلسطين" سيوقف كل الأزمة بين العالم العربي الإسلامي والغرب، نقول مثلاً: بالرغم من جوهرية هذه المشكلة وأهمية حلها حلاً عادلاً، وهو الأمر الذي يخفف كثيراً من سوء وضع الأزمة والأزمات المتعلقة بها، إلا أن هذا لن يكون كافياً -من وجهة نظرنا- مع وجود الأساليب السلبية القائمة التي تعرضنا لها، وآخرها مسألة (الفلتر الذهني) والمسائل التقنية الأخرى التي تحتاج إلى فاعلين مدربين وقادرين على إدارة الأزمات وحلها، ومتابعتها للخروج منها إلى آفاق أكثر سلاسة

---

(١) المرجع السابق، ص٤٦.

وعدلاً ونماءً...، لأنه حتى وإن تم حل مشكلة محورية كالمشكلة الفلسطينية مثلاً، فإنه يظل بمقدور أصحاب الأساليب الخاطئة في حل وإدارة ومتابعة الصراعات، على الجانبين، أن يخلقوا -حتى وإن لم يشعروا- مشاكل أخرى لا تنتهي.

٣-٣-٨ قناة الحوار والتفاوض وإدارة الأزمات الفعالة بعيداً عن الانحياز والاستقطاب والانفعال

لاشك أن من أهم ما تثيره هذه الدراسة هو التعرف على شبكة قنوات الحوار، فالحوار طبقاً لموضوع هذه الدراسة متسع إلى حدود بعيدة، والنقطة التي نريد لفت الانتباه لها أن قنوات الحوار بين العالم العربي الإسلامي أكثر في حقيقة الأمر من أن تحصى بسهولة، فهناك ملايين المسلمين ممّن يعيشون في ذلك الغرب، وهناك حوارات للأديان والثقافات في ذلك الواقع الغربي تحت العناوين التي ذكرناها، وهي "حوار الثقافات" و"الأديان" و"الحضارات" و"الحوار الإسلامي المسيحي"، وهناك آلاف القنوات من خلال البعثات؛ ومن خلال المؤتمرات المتفرقة؛ ومن خلال حركة التجارة الدولية؛ وحالات النجاح المعقول، تفوق بكثير حالات صدام الحضارات التي ذكرناها، خاصة في مجال التجارة الدولية، ومن هنا كان لابد من أخذ هذه الزاوية الأجدى بعين الاعتبار نحو مزيد من الانفتاح على الجانبين لتخطي كل فخاخ وعثرات ومآزق الحوار والتفاوض التي تعرضنا لها بشيء من التفصيل في هذه الدراسة، وإن كان من المهم حصر تلك القنوات التي يتم فيها التفاعل تحت عناوين من مثل (حوار الأديان) و (الثقافات) و (الحضارات)، وهذا يحتاج إلى مشروع بحثي كبير، وأعتقد أن جهد برنامج حوار الحضارات في هذا الصدد، وسعيه لفهم شبكات الحوار

القائمة هو جهد مطلوب، وقد تجلى في أكثر من سياق، وأهمها إصدار كتاب في ٥٦٣ صفحة بعنوان (من خبرات حوار الحضارات: قراءة في نماذج على الصعيد العالمي والإقليمي والمصري)[١] والأمر يحتاج إلى مزيد من جهود الحصر، ولكن الأهم هو النجاح في إنشاء مرصد وقناة ذات نوعية تفاعلية مدربة وعالية الأداء خاصة من المتخصصين في عدة مجالات، ومن المدربين على إدارة الأزمات الممتدة؛ وهو الأمر الذي لا يزال مفتقداً خاصة من منظور عربي إسلامي دولي، يتخطى واقع السلبيات الكبيرة القائمة، إلى آفاق لخير أجندتنا الوطنية، ولخير مباراة تفاعلية، لخير إنسانية الإنسان في هذا العالم، تنطلق من مصر قلب الأمة العربية الإسلامية إلى العالم كله.

٣-٤ تحديات بناء ونحت الأرضيات المشتركة وتفعيل السيناريو المعياري المطلوب

كما أوضحنا على مدى أجزاء دراستنا هذه أن من المهم لفهم أي موقف حواري أو تفاوضي أو إدارة أزمة أن نضع الخرائط الذهنية التي تحاكي الواقع على سبيل النمذجة العلمية، فهذا يعطينا تصوراً استراتيجياً لمسرح التفاعلات، وتكون هذه الخرائط الذهنية أدواتٍ -لاغنى عنها- لفهم طبيعة الموقف أي (Assessment Tool)، كما أنه من المتعين تحديث ما يستجد على هذه الخرائط الذهنية بشكل مستمر ليس لتقويم هذا الحدث أو ذاك، بل لاتخاذ التحركات الملائمة في التوقيت الملائم، وهذا ما يسمى في أدبيات إدارة الأزمات، وخاصة الصراعات

(١) راجع، مصطفى، نادية - أبو زيد، علا: من خبرات حوار الحضارات: قراءة في نماذج على الصعيد العالمي والإقليمي والمصري، برنامج حوار الحضارات، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة ٢٠٠٣.

والأحداث ذات الطبيعة الممتدة: بالتقويم المرتبط بالفعل أو بالفعل التقويمي Evaluation based acts[(١)]، وهذا الأمر يحتاج إلى إنشاء مشروع مستقبلي يعتمد على الفكر الحديث في مجال المستقبليات، وليس كما يحدث، خاصة في واقعنا العربي الإسلامي من ارتباط فكر الدراسات المستقبلية بفترة زمنية محددة؛ وبعد الانتهاء من مثل هذه الدراسات (كمشروع المستقبليات لمركز الوحدة العربية ببيروت على سبيل المثال لا الحصر) تكون الأحداث قد جرفت نتائج مثل هذه الدراسات بمجرد الانتهاء منها. إن علينا أن ندشن في واقعنا العربي الإسلامي مشروعاً مستقبليّاً لحوار الثقافات والحضارات والأديان متكاملاً؛ يتضمن مراعاة الأبعاد التقنية التي رصدناها في هذه الدراسة، ويعتمد على إنشاء قنوات ومراصد إعلامية تعتمد على المدربين في واقعنا وعبر الوطن العربي والعالم الإسلامي، وفي أنحاء العالم الغربي والشرقي معاً، بحيث يكون فهمنا لصياغة ونحت الأرضية المشتركة بالأسلوب الذي نفهم معه أنه ليس هناك أرضية مشتركة لكل السياقات ولكل الخطابات، ولكن، وطبقاً لهذه الدراسة، سنجد كثيرين في العالم اليوم على يقين بوقف تداعيات نموذج الصدام الحضاري الجائر، وفي هذا أرضية مشتركة، وسنجد من يشتركون معنا في التقرير بأن استهداف الإسلام والمسلمين بهذه الرعونة واللاعلمية القائمة في دوائر إعلامية غربية عديدة سوف يؤدي إلى مشاكل للعالم أجمع؛ وليس للمسلمين

---

(١) راجع بخصوص تفاصيل أدبيات إدارة الصراعات والأزمات:

D'Estree, T. P. & Colby, B. G., Braving the currents: Evaluating Conflict Resolution in the river Basins of the American west. Norwell MA: Kumer (2003).

Sueskind, L. & Thomas - lamer, J.," Conducting a Conflict Assessment" in the Consensns Building Handbook: A Comprehensiene Guide to Reaching Agreement L. suskind, s. Mckearman, and J. Thomas - lamer, eds. Thonand Gaks sage publication 1999.

وللعرب فقط؛ وهذه أرضية أخرى كما جاء في تصريح بذلك للأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان، وسنجد أرضية مشتركة أخرى في فكر ترشيد طبيعة الحوار الثيولوجي (كما ذكرنا في الخطاب رقم (١) من الخريطة الذهنية بالجدول رقم (١))؛ وسوف نجد وسيلة لوضع أرضية مشتركة مع كل من يريد المعلومات الحقيقية غير الناقصة ولا الجائرة، وسوف نجد أرضية مشتركة حتى مع منظري الصدام الحضاري ذاته إذا وجدتِ القناة التي قد تجمعنا بهم للحوار العلمي، فحتى في وجود أعتى أجواء الصدام التي تمثلها الحروب، وهي بالفعل اليوم حروب هوية، قد يكون من المجدي أن يكون هناك مسعىً لإيجاد ولو أصغر مساحة من الأرضية المشتركة؛ كالتي تحدث بين الجيوش المحاربة حتى لا تضرب مستشفى، وأن يعامل الأسرى بحقوق يتفق عليها... إلى آخره، المقصود أنه حتى في حالة الحروب فإنَّ هناك قدراً من الأرضية المشتركة الضمنية التي توصلت إليها معاهدات دولية، ولقد أثبتت لي خبرة الحوار الدولي أنه إذا ما ترك المتفاعل ليتفاعل مع من يؤيدونه فقط؛ ازدادت حالة ودرجة العداء والاحتقان والتهور مع الآخرين ممن لا يؤيدون، هكذا علمتنا دروس البشرية في سياقات تاريخية عديدة، ولعل الجزء الأهم في عمليات نحت وبناء وصياغة الأرضيات المشتركة، الجزءُ الخاص بنا في عالمنا العربي الإسلامي؛ فعلينا أن نرسل للعالم رسائل تتسم بالقدرة على الأداء الرفيع تقنيّاً وعلميّاً وإيمانيّاً ومن خلال المقاصد الكبرى السامية للإسلام، وأن تتسم تفاعلاتنا بالإنصاف؛ إنصاف الذات وإنصاف الخصم[١]، فلا تتسم تفاعلاتنا بالرعونة ومبادلة الخصم بأسلوبه نفسه إذا

(١) هناك دراسة متميزة عن إنصاف الخصم في القرآن الكريم، وهي للباحث الدكتور عبد الحليم حفني، إنصاف الخصم في القرآن وأثره الإعلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م، وليت المشروع القومي للترجمة يهتم بترجمة مثل هذه الأعمال.

اتسم بالجهل، وبالعداء والكراهية واللاموضوعية، وهنا لابد من أن نرصد دراسة قيمة للغاية للدكتور عبد الحليم حفني، كان موضوعها (إنصاف الخصم في القرآن)، الذي جاء في عدة فصول لتتناول التزام العدل؛ العدل إزاء الخصوم، وعدل الله بين رسوله والمشركين، والاعتراف بمزايا الخصم، حرية المناظرة، حرية الرأي، والموقف الذي حدده القرآن الكريم بخصوص معارضة الرسل، مهاجمة القرآن، مهاجمة معالم الدين، إلى آخره، ومن المهم أن نشير إلى ما ذكره الكاتب في فصله عن (مهاجمة القرآن الكريم) حيث يذكر "... أنه كان المتوقع والقرآنُ بهذه المنزلة الرفيعة عند الله وعند المسلمين، أن يغضب الله سبحانه و (تعالى) - حسب عرف البشر - غضباً شديداً مدمراً من كل من يمس القرآن بسوء أو يحط ولو شيئاً ولو يسيراً من منزلته، ولكننا نجد القرآن نفسه -وهو كلام الله- حافلاً بعرض ما وجهه إليه أعداء الله من إساءات ومن تكذيب ومن تحقير أو تشويه أو غير ذلك، فلا يبدو من الله سبحانه و (تعالى) ما يعبر عن هذا الغضب المدمر، بل نجد منهج الله الذي ضمنه القرآن ثابتاً وملتزماً؛ متمثلاً في أمور:

١. أحدها عرض رأي الخصوم في القرآن كاملاً ومفصلاً مهما بلغ من إساءة إلى القرآن أو إلى المتكلم به وهو الرسول، أو إلى مصدره وهو الله.

٢. إتاحة الحرية لهؤلاء الخصوم في أن يقولوا ضد القرآن ما يشاؤون، بل وحمايتهم من أي ضغط أو إيذاء في أثناء خصومتهم.

٣. الرد على كل ما يقولون ضد القرآن بالحجة والمنطق حتى يتضح الحق في غير التباس بالباطل[١]".

---

(١) المرجع السابق، ص٢١٧، ٢١٨.

ويضيف د. حفني في هذا الفصل الذي يحتوي تفاصيل كثيرة على درجة عالية من الأهمية أن المطلب في خضم مثل هذه التفاعلات الشائكة يتمثل في الآية الكريمة:

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام: ٦/٦٨].

ويسترسل د. حفني في الخوض في تفاصيل كثيرة، ويرد على ادعاء من يدعي بأن الآيات المكية كانت مهادنة، والآيات التي نزلت في المدينة عندما قويت شوكة الإسلام لم تكن كذلك، وهو ادعاء ينتشر كثيراً في حملة المعلومات المضللة ضد الإسلام اليوم، خاصة في مواقع شبكة الإنترنت الكثيرة، ولكن يرد د. حفني بإظهار أحكام القرآن نفسها في كل من الفترتين المكية والمدنية، فيذكر مثلاً من سورة النساء قوله تعالى (وهي مدنية) التذكير نفسه الذي ورد أعلاه في سورة الأنعام -وهي مكية-: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ٤/ ١٤٠] وينتهي د. حفني إلى أن القاعدة المقصدية هنا هي إنصاف حتى الكافرين في التعبير عن كفرهم، وأن يتسم رد فعل المسلم بالإعراض عنهم فقط... وهذا بمنزلة التنبيه إلى إمكانية تأسيس (الأرضية المشتركة) معهم والمبنية على عدم العداء في الدين -وهو منطق إنساني بحت وذلك في قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٦٠/ ٨].

... من هنا ينبغي النظر إلى المستويات المتعددة لفهم فكر صياغة الأرضية المشتركة في السياقات المتعددة؛ وأن يتم من خلال هذا الأسلوب الديناميكي إدارة الأجندات والسيناريوهات المتنازعة والمختلفة التي رصدناها في إطار خطابات الخريطة الذهنية المقدمة في هذه

الدراسة، والانطلاق لتدعيم خطاب الأرضية المشتركة الإيجابية الذي ذكرناه في رقم (٦) بالجدول رقم (١)، والذي عبر عنه خير تعبير خطابُ الأمير تشارلز الذي قدمنا تحليلاً عاماً لمنطلقاته في هذا الجزء الثالث من هذه الدراسة، والذي يصلح أن يكون أساساً للسيناريو المعياري الذي ينبغي تطويره وتحديثه للخروج من نفق نموذج الصدام الحضاري المظلم الذي يريد أن يفرضه على العالم قلة تستند في طروحاتها إلى اللاعلم واللاموضوعية؛ وإلى كثير من الكراهية التي يمكننا دحضها ومواجهتها بالعلم والعقلانية والحشد الإيجابي في كل من العالم العربي الإسلامي؛ مع عناصر دولية إيجابية تفوق في إمكانياتها وروحها إمكانيات وروح منظري الصدام الحضاري، والأمر يحتاج أساساً إلى روح التفاوض النضالي المدعم بالمدربين تقنياً على إدارة الحوار والتفاوض في الأزمات عند حدوثها، بالعلم وبالمقاصد السامية للأديان؛ وللإسلام؛ وخاصة تلك التي لابد أن تكون عوناً للعالم أجمع نحو آفاق أفضل للإنسانية جمعاء؛ والله ولي التوفيق وهو وحده المستعان.

انتهت الدراسة بفضل من الله.

مستخلص

يتحدث الكتاب عن طبيعة الخطابات والأجندات والسيناريوهات المتنازعة التي تحويها الخريطة الذهنية الخاصة بحوار الثقافات والأديان والحضارات الراهنة، وذلك لإيجاد أداة تقويمية أولية تمكن من الرؤية الإستراتيجية لخريطة التفاعلات الخاصة بالدراسة، ويبين الخصائص اللغوية والثقافية والحجج التي يتم تداولها في إطار كل من الخطابات ذات النطاق التواصلي الأوسع المتضمنة في إطار كل خطاب من خطابات الخريطة الذهنية، وتوضيح المقصود بها من خلال أوجه الخلل القائمة في التفاعلات الحوارية والتفاوضية بين الواقع العربي الإسلامي والغربي ومن خلال حالات تفاعلية محددة.

كما درس الكتاب المستويات المختلفة بخصوص كل خطاب من الخطابات السبعة لإدارة الأجندات المتنازعة في حوار الثقافات في حوار الثقافات، ولمصلحة مباراة يكسب فيها الجميع.

ووضح التقنية اللازمة لبناء وصياغة السيناريوهات الحاضنة في حوار الحضارات والثقافات، وخاصة تفاعلات النظم؛ وهي تقنية حيوية لتحليل الخطاب وإدارة الأجندات المختلفة.

وبين الكتاب طبيعة فخاخ التفاوض في إطار ملفات التفاعل في حوارات الثقافات والحضارات والأديان وأهمية إدراكها.

وتساءل الكتاب أخيراً عن المقاصد الكبرى للإسلام في إطار فهمنا لتفعيل هذا الحوار.

Abstract

This book talks about the nature of the disputing oratories, agendas and scenarios contained in the mind map, which is made particularly for the dialogue of the current cultures, religions and civilizations in order to find a preliminary instrument of estimation which helps attaining a strategic view of the reaction map specific for the study. It also elucidates the linguistic and cultural characteristics and the arguments discussed within the limits of the addresses that enjoy a wider area of communication included within the frame of all the addresses of the mind map, and it clarifies the meaning intended in the aspects of defect existing in the dialogical and negotiating reactions between the Arab/Islamic reality and the Western reality and through specific reactionary cases.

Additionally, the book studies the different standards particular to each of the seven addresses relevant to conducting the seven disputing agendas in culture dialogues and in favor of a competition in which all parties win.

It also brings to light the technology needed for building and formulating the incubating scenarios of the dialogues of civilizations and cultures, especially the reactions of systems, which is a vital technology for analyzing the address and conducting the various agendas.

Moreover, the book elucidates the nature of the traps of negotiation within the frame of the files of reaction in the dialogues of cultures, civilizations and religions and the significance of perceiving them.

Finally, the book inquires about the great aims of Islam - within the frame of our understanding - for activating such a dialogue.